منير تقي الدين

مقامات لبنانية

منشورات المكتب التجاري

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 08 / جمادى الأول/ 1444 هـ
فـــي 02 / 12 / 2022 م هـ
سرمد حاتم شكر السامرانـــي

م. سرمد حاتم شكر

مقامات لبنانية

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

١١٠٨
اجتماع
١٦٧

منير تقي الدين

مقامات لبنانية

منشورات المكتب التجاري - بيروت

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الطبعة الاولى : آذار (مارس) ١٩٦٣

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

قارئي العزيز

ما هو بكتاب هذا الذي بين يديك ، بل هي أسطر أرجو أن لا تقزز عينيك قراءتها ، وهي صورة واقعية عن المجتمع « الفرن » الذي تغلي فيه الكثرة الغالبة من اللبنانيين .

وقد ترددت كثيراً قبل أن أرضخ لاغراء الناشر الكريم حين أصر على « تقميص » بعض ما كتبت هنا وهناك في كتاب قد أصنف معه بين طبقة « الادباء » التي تلمع أسماؤها في واجهات مكتباتنا ، وتعرض إنتاجها كما يعرض البقال فاكهته المتعددة الأصناف .

* * *

ما رأيت أخصب من مجتمعنا اللبناني حقلاً نختبر فيه أخطاءنا وفضائلنا ، بعد أن عكسنا المقاييس وقلبناها حتى أصبحنا وكأننا نعيش في كرنفال دائم ، بعيدين عن طيبتنا .

لقد سادت المجتمع اللبناني « طفرة » من الظواهر الغريبة أشاعت في أرجائه القلق وجعلت الناس فيه يخطئون في تحديد القيم ويمسخونها ، مما يكاد يودي بالقيم التي تميز الانسان عن سائر المخلوقات ، وتعيده الى قِرْدِيَّة أصله ..

أسأنا فهم الحرية ، عندما لم نعرف أن نحدّد حاجتنا ..
فقيدنا أنفسنا بالحاجات المادية ،
ولبسنا ثوباً غير ثوبنا ،

وكدنا نخرج من جلدنا عندما قلّدنا غيرنا واصطنعنا السعادة دون عاطفة صادقة ،

وادعينا الرقي حين بعدنا عن القيم الروحية ،

وتهافتنا على اغتصاب حاجاتنا دون حساب وبغير تأمل .

ولجأنا الى النفاق حين أردنا اظهار ثقافتنا وحضارتنا ...

وبعدنا عن جوهر الحقيقة وأصبحت لذة الاغتصاب همّنا. فانعدمت المحبة ، وانخفضت قيمة العقل ، وحلّت مكانها البغضاء والتفاهة .

من هنا ، كان لا بد للأديب الذي يتشوف لاصلاح مجتمعه أن يتصدى لهذه العيوب بقلمه ، مهما كان مقلّاً ، فيحاول جهده ان يظهرها علّه يسهم في علاجها .

وهل يقاس نجاح الاديب بكثرة انتاجه أم بمبلغ تأثير

هذا الانتاج في مجتمعه ؟.

* * *

فيا عزيزي القارىء .

لقد كان من الأسلم لي ، وأنا فرد من هذا المجتمع الذي أصور ، أن « أمتَـْرِسَ » كناقد بدلاً من أن أكون صيداً سهلاً ، فأنجو من قسوة النقد ، وأبـدو وكأني براء من العيوب التي أصفها . وقديماً قيل : كن حَكَماً تَنْجُ من القصاص .

ولكنني وقد وضعت نفسي بين يديـــك ، ووهبتك مركزاً ممتازاً بأن جعلتك حَكَماً ، أرجو أن لا يكون حكمك قاسياً ، فتعدّني واعظاً .

المؤلف

الفقر الظافر ...

حدثني صاحبي قال :

كانت الساعة الثامنة من مساء الخميس ، ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٦١ ، عندما رن الهاتف في منزلي قلت في نفسي : ومن يكون هذا الذي يتلفن في ساعة مثل هذه ؟

وقبل أن أتفوه بكلمة أرد بها على مخاطبي سمعت صوتاً من الطرف الآخر يقول :

– أنا فلان .. أرجوك أن تستقبلني الساعة في بيتك ..

فلان يريد أن يزورني في بيتي !!

وفلان رجل عرفته في أثناء الدراسة ، ولم أر وجهه منذ زمن بعيد ، بعد أن أصبح على رأس مؤسسة معروفة ..

وهو يريد أن يزورني في بيتي ؟. أنا الذي لم أستقبله يوماً في مكتبي ، حتى ولم ألتق به إلا في الندرة ..

ماذا يريد ؟؟..

المعلومات التي وصلتنا تدينه كما تدين سواه من المشرفين على مؤسسته . إنه مذنب وهو لو لم يكن كذلك لما اهتم بالموضوع ، وإلا فلماذا يتنازل عن جبروته ويأتي الى زيارتي ؟..

وبدأ الصراع في نفسي قوياً: إنه المال ما سيعرضه علي ؟هل أرضى به ؟ ولماذا لا أرضى ؟؟ ألست بحاجة اليه ؟..

ثم هل انا وحدي في هذا البلد من يضعف حيث يجب أن يكون قوياً ؟؟

الرشوة ؟ ما هي ؟ من يعلم بها ؟؟

المال ؟ أليس هو ، كما يقال ، لا لون له ولا رائحة ؟؟

كلمة واحدة ، ويسدل الستار .

لماذا لا أغتنم هذا الظرف فتنتقل حياتي من حال الى حال ، ويتبدل وجه الدنيا بالنسبة إلي ؟؟

كل ما يطلب اليّ هو أن أسكت عن اولئك الخونة : فلان وفلان وشركائهم .

هل واجب الدفاع عن فلسطين ملقى عليّ وحدي ؟

أوليس في الدولة بعض المسؤولين يهملون كل يوم ألف مرة ؟

لماذا لا انضم الى طغمتهم ، وأصبح ثرياً كما أصبحوا ، فلا أشكو الحرمان ؟؟

الله !! الله !! خطوة واحدة .. وتنقلب الحال ، ولكن الخطوة .. صعبة !!

وهدر صوت الضمير في نفسي ، ومرت أمام مخيلتي صورة الرئيس الزاهد الخيّر ، فقلت في سري : ما الفرق بينك وبين أولئك الذين تنتقدهم ، أمثال فلان وفلان ؟؟ أليسوا في زعمك مرتزقة ؟؟

أتراك تريد أن تكون مثلهم ؟

وإذا فعلت ، فهل تبقى الرجل المعتدّ بنفسه ، القادر على أن يفرض الاحترام في بلد يكاد يُفقد فيه الاحترام ؟؟

ألا يكفي أن أشعر بميسم الضعة ، ولو أمام شخص واحد ، هو نفسي ؟؟

مال ! ثروة ! ماذا يعني كل هذا ؟؟

هل يساوي المال الذي سأقبضه لذة راحة الفكر ، عندي ، أنا الذي بعزق أضعاف أضعافه في شبابه ؟

ألا أشعر بالعار الذي سأتركه لأولادي وعائلتي ؟ ماذا جنى أولادي حتى يفيقوا غداً على خيانة ارتكبها أبوهم ؟؟

بقي هذا الصراع يتنازعني ، حتى طرق الباب ودخل فلان ! أنيقاً ، والأزرار الذهبية تعلن عن أطراف قميصه الحريري .

ذكرت المائدة التي تركتها منذ حين ..

ذكرت والدتي وامرأتي وأولادي يشاركونني الزيتون ببهجة ولذة . لانهم يعلمــون أنني بكدي وعرق جبيني أنعم بذلك الزيتون وينعمون !!

وقفزت الى رأسي هذه الصورة .

وقارنت بين هذه الجلسة العائلية البسيطة الهادئــة ، وذلك الرجل ، ذي الأزرار الذهبية اللماعة ، والأناقة المسرفة ، الذي حمل نفسه ، وهو الرجل الواسع الثراء ودخل بيتي كاللص الحقير ، لأن ضميره متعب .

تأكدت أن ثروتــه لم تتمكن من إرساء السعادة في نفسه ، فهو وجل ، خائف ، مضطرب ، يحتاج الى مساعــدة رجل فقير مثلي !

أنا فقير ، وهو غني ...

.. ووجدتني أتكلم بفصاحة لم أعهدها في نفسي ، وأبيّن بهدوء لذلك الرجل طعم الرغيف النظيف في فم القنوع ..

وانسحب الغني !

وأويت الى فراشي .

وفي الصباح أفقت على صوت ابنتي الكبرى ، وهي دون الحادية عشرة ،تطلب مني قسط المدرسة لها ولشقيقتها وشقيقها، وبادرتها بقولي :

ـ آخر الشهر يا ابنتي .. ندفع القسط .

آخر الشهر ..

كلهم عجاج !

قصة « عجاج » معروفة عندي .. فأنا الذي عينته !!

في أحد الأيام، دعا « عجاج » والده وبعض أقاربه ليشاهدوه وهو يمارس وظيفته كشرطي سـير على مصلبية فرن الشباك . وقف والده الى جانبه ، يتأمله وهو يكاد لا يصدق عينيه !! « عجاج » يعطي اذن المرور للسائقين وللمشاة ، باشارة من يده؟! وفجأة تلفت عجاج الى والده ، بعد أن قطب حاجبيه وقال :

– هذه هي سيارة رئيس الحكومة .. انظر كيف ابنك عجاج يسمح لرئيس الحكومة بالمرور !! وهذا النائب الكبير ، لا يمكنه أن يمر قبل أن اعطيه « أنا » حق المرور !! وها هو الوزير الخطير ! تأمل كيف جمدته في سيارته .. إنه ينتظر إشارتي ليتمكن من المرور .

لقد تقمص ديك « شانت كلير » في عجاج . ديك « شانت كلير » الذي تصور أن الشمس لا يمكن ان تطلع إلا إذا صاح !

إن قصة عجاج هذه مضحكة وهي تمثل عقلية موجودة في لبنان منذ زمن بعيد : عقلية حب الوجاهة او « القنزحة » كما يقولون في القرية اللبنانية .

كل لبناني تقريباً هو الى حد ما «عجاج » . سواء كان شرطي

سير ، أو موظفاً كبيراً ، أو مليونيراً حديثاً أو دكتوراً غـــير طبيب !!

ولكن ليست القصة دائماً مضحكة . أحيانـاً يصبح مرض الوجاهة هذا أذى كبيراً وخطراً ماحقاً .

فمثلاً هناك وجاهة الكوكتيلات في السفارات الأجنبية .لقد أصبح أول عمل يجب أن يقوم به المتدرج في حقل الوجاهة هو أن يكون على شيء من الوقـــاحة ، يسمح له بالاتصال بدائرة التشريفات أو بالسفارات رأساً ، والسعي لديها كي تحشر اسمه في لائحة المدعوين ، الذين تكتظ بهم حفلات السفارات الاجنبية . فإن نجح في ذلك ، فإنه ولا شك قد قطع المرحـلة الاولى الهامة وحقق الانتصار الاول ، وبالتـالي فقد بات على قاب قوسين من الوجاهة .

وهناك وجاهة عضوية النوادي الاجنبية وعضوية اللجان الاصلاحية . فالدخول في إحدى اللجان الادارية يعتبر وجاهة . يعود الواحد من بعض الذين دخـلوا جنة الاصلاح ، الى بيته ، متعباً مرهقاً ويفاجىء زوجته بنوبـة تذمر : الحقيني بشيء من الموسيقى الكلاسيكية !! إن أعصابي لم تعد تحتمل .. انهـم لا يريدون ان ارتاح . لقد زجّوني في لجنة الاصلاح !!

وهناك بالإضافة الى وجاهة الكوكتيلات عند الأجانب ، واللجان الاصلاحية والنوادي ، وجاهات أُخرى أقل خطراً على سمعة البلاد وكرامة الدولة ولكنها ليست أقل عيباً ..

مثلاً وجاهة النفوذ وخرق القـــانون ، كأن تحصل على نمرة

لسيارتك لا تتجاوز الثلاثة أرقام ، ولو كلف الأمر كثيراً من المـــال . وكأن تملك رخصة للسلاح حتى ولو كنت لا تتقن فن الرماية فضلاً عن الاصابة ! أو لو كنت لا تتقن الحكمة التي تقول: ألف مرة جبان ، ولا مرة الله يرحمه !

ان هذا النوع من حب الوجاهة أصبح عاماً في لبنان وشمل نواحي من الحياة الوطنية يكوّن فيها خطراً على مصلحة لبنان، يجب أن يحارب . فالدولة مدعوة الى إعلان الحرب على طبقة المستوجهين من موظفيها وغيرهم ضناً بالسمعة وحفظاً للكرامة .

ان قصة عجاج طريفة !. ولكن هناك ألف عجاج يقومون بألف قصة ، ولا يستطيع الانسان ان يضحك لطرافتها ، لأنها تكون مضحكة مبكية .

ورحم الله الذي قال : ولكنه ضحك كالبكا !!

"شوربة" الديمقراطية !

مواسم لبنان كثيرة ، مختلفة .

فهناك موسم السياحة .

وهناك موسم الاصطياف .

وهناك موسم الزرع ، وموسم الحصاد ، وموسم القطاف .

وهناك موسم المغتربين ، وموسم مهرجانات بعلبك .

ألف موسم وموسم تمر بلبنان !

ولكن موسم الانتخابات يظل أكثرها التصاقاً بالناس ، وأبعدها تأثيراً .

وكما أن لكل موسم بداية ونهاية ، فلموسم الانتخابات بداية ونهاية !!

* * *

فمن مظاهر هذا الموسم الاعلان عن تأليف « الرابطات العائلية » ، إذ يتنادى أفراد بعض العائلات للانتظام برابطة ينتخبون لها رئيساً يكون أكثر أفرادها نشاطاً وأعمقهم تمرساً في فنون اللياقة ومفاوضة المرشحين - طبعاً لمصلحة الرابطة !. - ومعرفة بأصحاب الصحف التي تنشر أخبار الرابطة بشكل يشوق المرشحين ويغريهم .

والظاهرة الثانية لبدء موسم الانتخابات هي ازدياد أهمية الأحياء والموتى ، ومساهمة المرشحين في المناسبات او اللياقات الاجتماعية .

حتى أن قروياً قال بسذاجة فطرية : أرجو الله تعالى أن

لا يميتني إلا في موسم الانتخابات ! فالفقيد كائناً من كان ،يصبح الوجيه الكبير ، والـثري الامثل والمحسن الكريم ، والعصامي الفذ ، والبطل المغوار ، الى غير ما هنالك من أوصاف ونعوت!

والظاهرة الثالثة هي « مواكب » الناس !

فالناس في موسم الانتخابات يتعمدون السير جماعات جماعات ليلفتوا نظر المرشح الى قوتهم وتأثيرهم !..

كل قطيـع يتبـع كرازه كما يقولون !!

ويأتي المرشح الى القرية فيبدأ زياراته التقليدية برئيس الرابطة « الطهمزانية » . وعندهـا تبدأ أدق العمليات : تحليل يقوم به أفراد الرابطة للوضع بصورة عامة ، ولوضـع المرشح بصورة خاصة .. المرشح يحاول ان ينجح في الامتحان !

والناخب ، لفرط ذكائه ودهائه ، يتدلل . فكلامه مبطن غامض،لا يخلو من الغمز في أكثر الاحيان..ووعده غير نهائي..

وبعد أن ينتهي السؤال والجواب يتـبرع المرشح لصندوق الرابطة ببعض المال ، ويخرج ليتابـع زياراته لبقية الوجهاء والرابطات ...

أخبرني أحدهم قال : كنت في أحد المواسم الانتخابية أدعو لاخي المرشح . دخلت بيت أحـد النافذين المشهود لهم بقوتهم الانتخابية .. بدأت أشيد بالعلاقات التاريخية المتينة التي تشدنا الى بيته وعائلته .. وكنت لبقـاً في الكلام ، الى أن خيل اليّ أنني نجحت في عملية التطبيق .

ثم خرجت من البيت وأنا مطمئن الى النتيجـة ودخلت بيت

كفة الميزان الثـــانية .. خصمه الذي يمسك بالجانب الآخر من القرية .. نسيت أن أقول لك أن بين الاثنين ، يعني بين الجبهتين، عداوة زرقاء !

وأعدت الى المنزل الجديد الاسطوانة التي أنشدتها في المـنزل الأول : علاقات تاريخية .. روابط لا يفصم عراها الزمن وغير ذلك من المجاملات . واستطرد يقول :

أما النتيجة فكانت أن خسرت البلدة بأجمعهـــا ، والسبب معروف : فقد تصالح الفريقان .. الخصمان .. قبل الانتخاب ، ورددا لبعضهما البعض نفس الأقوال التي سمعاها مني !!..

وأنهى صديقي قصته قائلاً : وبعد هذا يقولون أن لبنان بلد ديمقراطي، وان الناخب هو الذي يوصل المرشح الى النيابة..

ومهما قيل في الناخب القروي .. يظل قليلاً ..

أبرز مزاياه وصفاتـــه أنه حساس ، أو بصورة أوضح إنه « نكـتيح » . فهو ينتظر أربع سنوات كاملة ، يجلس بعدها على قوس المحكمة ، ليحاكم المرشحين .

وفي أكثر الأحيان يأتي الحـكم للمرشح الذي يتقن فنون الكذب والنفاق ، ويحسن ضروب المراوغة والمداهنة .

والناخب أيضاً يعلق أهمية كبرى على حسن ذاكرة المرشح. فالمرشح الناجـــح هو الذي لا ينسى اسم الناخب واسم أبيه ، والذي يسأله عن أحوالـه وأحوال الموسم عنده ، الى غير ذلك من الخصوصيات..

عند ذلك ينتصب الناخب واقفـــاً ، ويرد للمرشح جميله ،

فيذكره بدوره بالافضال التي أسبغها عليه : نحـــن لا ننسى ياسعادة « فـــلان » يوم قصدناك الى مكتبك ، وكنت إذ ذاك وزيراً ، وطلبت المدعي العام بالهاتف وصحت به : ان المتهم موجود في مكتبي ، ولن اسلمك إياه إلا إذا وعدتني باخلاء سبيله وإعادته في الحال .. روح !! الله يطول عمرك يا بك .. النيابة خلقت لك .. هيك الرجال والا بلاها !!

والمرشح في موسم الانتخابات ديمقراطي ، بل هو مسرف في الديمقراطية الى حد الابتذال !!

يقبل اطفالاً لا يؤمن كساءهم بعد أن أصبح نائباً ..

يصافح الأيدي التي يكبلها ، فيما بعد ، بما يسنه من قوانين مجحفة بحقها ..

هذه هي الديمقراطية .. وتلك هي أساليبها .. في لبنان ..

ثم لا تنس ، يا صاحبي ، سعي المرشح لاستغلال اسم السلطة ، ليؤثر بواسطتها على الناخبين . إنه يسعى ، خصوصاً في الحفلات العامة ، للجلوس على طاولة أصحاب السلطة . « ووالله لو أن بعض المرشحين المتزعمين بذلوا ، مع خصومهم أو ناخبيهم ، جزءاً يسيراً من التساهل الذي يبذلونه في ذل وتزلف لاصحاب السلطة لما وجدت مزاحمة بينهم . ولـــكانوا وصلوا الى تحقيق أمانيهم ناخبين ومرشحين !! »

وبعض المتزعمين لا يترفعون عن القيـــام بحقارات كثيرة ليكيدوا لخصومهم المحليين ...

ومسكين هو الناخب في لبنان ... انه يميل الى التفاؤل .

انه ينسى كل السيئـــات ، فيهرول ، بعد نجـاح المرشح ، الى تهنئته وكله آمـــال عذاب لقطف الوعود التي نثرها عليـــه في في الانتخابات .. يؤلف المواكب ، وينتقل ، على نفقته طبعاً ، بالسيارات ليقدم فروض الولاء للنائب الجديـد ، حيث يتحمل الانتظار الطويل قبل أن يمن الله عليه بمقابلته السنية !!

تخرج الخادمة الى الوفد المهنىء ، وتقذف بوجهه بالحمم :

(البك نائم.. البك في الحمام . انتظروا ، أو عودوا غداً .. »

« على فوقه : في إحدى تلك المناسبات ،بلغ سعر الكعكة، في منزل الزعيم ، نصف ليرة لشدة جوع المهنئين .)

ثم يفتح الله ويطل على الوفد النائب الخطير ، بوجهه المستدير وقد نضب منه الحياء والرجولة .. وهو مزموم الشفتين ، يـكاد لا يرد على عبارات التهنئة ، ويصطنع العظمة والكبرياء .. ناسياً أنه ، الى أيام قليلة خلت ، كان يوزع الابتسامات وينثر الوعود، « بديمقراطية » وتواضع بالغين .. ثم يتقدم خطيب الوفـــد ، وأفصحهم عادة أكذبهم . ويخاطب النائب الزعيم مستهلاًالقول :

أشرقت شمس الأماني وازدهى الكون البديـع

أنت بدر في الـــتمام أنت نـور للقطيـــع !

ثم يضيف الخطيب وقد أخذتـــه النشوة : يا سيدي ، هذه الوفود الماثلة أمامكم هي رهن اشارتـكم .

واسمح لنا بهذا التعبير : إننا نرجو من الله ان نسلق «بشوربة سيادتك » .

الله الله! ما أجمل هذه الصورة! وما أشهى تلك «الشوربة»!

وقد يكون صاحب السيادة قد اغتسل مرة واحدة في حياته.. يوم زواجه !!

ويذهب وفد ، ويأتي وفد آخر .

ويتكلم أفصح القوم مردداً القول : يا سيدي ، لو أن أفراد عائلتك انقرضوا عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم الا العظم ، لشككنا أصغر عظمة في أعلى رؤوسنا لتقينا من غائلات الزمن.

ثم يعلن الزعيم الخطير شكره ومباركته للوفد بابتسامة ، ويخص أفصح القوم بوظيفة وكيل ورشة ، أو حاجباً في احدى دوائر الدولة تدليلاً على وفائه ، ويسدل بعد ذلك الستار .

حقاً ان الناخب اللبناني هو مثال في السذاجة والوفاء .

فقد جاءني في أحد الأيام ، أحد القرويين ودخل عليّ في مكتبي وهو يرتجف !

وبعد المقدمات الكثيرة ، نزع عباءته عن كتفيه ، وقدم لي ثلاث تفاحات قائلاً : هذه هدية من بستاني ، جئت بها اليك رداً لجميلك ، يوم وقفت تساندني ضد أحد المتنفذين الذي أراد اغتصاب بستاني الصغير . وأرجوك أن تكتب لي اسم المرشح الذي يحسن بي أن أنتخبه علّه لا يعتدي على بستاني .

ما أبلغ هذا الوفاء ، وما أروع تلك السذاجة ، وما أجمل هذه الديمقراطية !

★ ★ ★

موسم الانتخابات ، أكثر مواسم لبنان نشاطاً ، وأكثرها

التصاقاً بالناس ...

انه موسم الأخذ والعطاء ، والشد والرخاء .

موسم يطل علينا كل أربع سنوات ..

ليتحدث به الناس أربع سنوات ..

الخرّبرّ... و الخربريون !

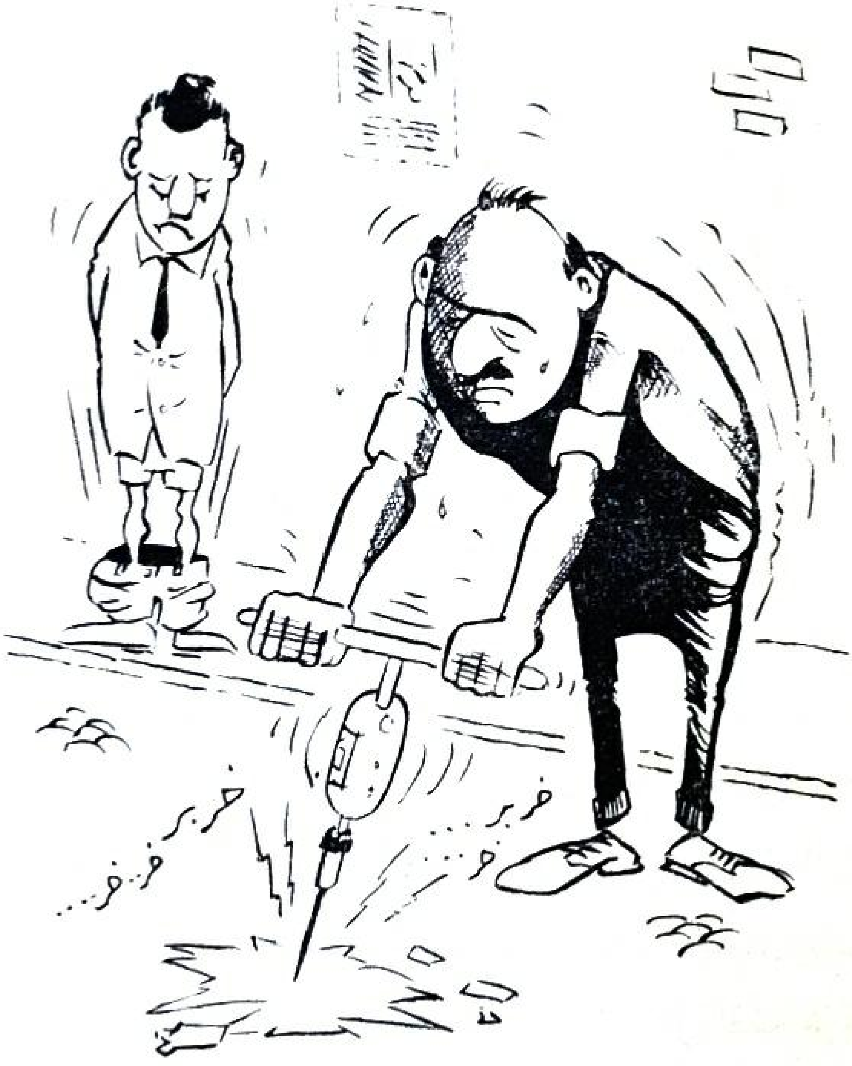

الخرّبرّ يا صاحبي آلة يعرفها ويخاف منها كل من « أسعده » الحظ بزيارة طبيب الاسنان .

فهي وان كانت نافعة ، مؤلمة لدرجة ان معظم الناس ، وانا منهم ، يفضلون تحمل آلام الاضراس المسوسة ، على وجـــع الخرّبرّ .

فمن شيمة هذه الآلة انها تظـــل تنخر في الضرس أو السن حتى تصل الى العصب ، أشد أعضاء الجسم حساسية ، لذلـك كانت آلامها شديدة لا تطاق .

★ ★ ★

غير ان الخرّبر هذا لم يعد وقفاً على طبيب الاسنان وحده ، بل انتقل الى المجتمع وعم ارجاءه ، واصبحنا نصطدم به اينما حللنا ، ولا نستطيع منه فراراً ، والخرّبريون ، اصحاب الخرّبر من غير الاطباء ، هم اشد فتكاً في اعصابنا من الخربر الآلة ...

تلقى احدهم في الشارع ، فيسحب لسانه وينهال عليـــك بسيل من الاسئلة : لماذا انت شاحب اللون ؟؟ هل انت مريض؟؟ وما هي علتك ؟ ولماذا تهمل صحتك الى هذا الحد ؟؟

وقد يشجعه سكوتك ، فيتمادى معك ، وكثيراً ما يحدث ذلك امام اشخاص آخرين فيسألك : امـا تزال غارقاً بالمقامرة

اما تزال تشرب كل ليلة ؟؟

ولا يكتفي الخربر هذا ، فيغوص في اعمـــاق خصوصياتك ويسألك عما اذا كنت لا تزال مختلفاً مع اخيك على قسمة الاملاك الموروثة عن الوالد !

ثم يخلص الى اطلاق الصواريخ الواعظة ، ناصحاً بالحفاظ على الاخوة ، واتقاء شماتة الناس ...

وقد يفاجئك الخربر في باب ادريس ، أو في شارع الحمراء ، فيوقفك للسلام عليك ، وقد يعطل السير ، (المعطـّـل اصلاً) ويقص عليك خبر ازمة نشبت بينه وبين احد الزعماء ، ويبدأ في تمثيل الازمة ، كيف أوقف الزعيم عند حده ، ثم لا ينسى ان يمد لك يده بعد كل عبارة يلقيها ، طالباً منك الموافقة على حديثه ، ملحاً عليك ان تضرب باطن كفه تدليلاً على استحسانك لقصته واعجابك بعبقريته ..

وقد يدخل « خربر » عليك في مكتبك دون موعد سابق أو إنذار ، فينبطح عل الكرسي ليرتشف القهوة ويبحلق في الاوراق الخاصة والرسمية التي تستريح على مكتبـك ، ثم يتناول التلفون ليخابر احد معارفه ويخبره عن وجوده في مكتب فلان الموظف ، الصديق الذي حجزه لاعمال هامة !..

وقد يصدف ان تكـون في جلسة انسجام مـــع اصدقاء وصديقات ، فيهبط «الخربر» ويحتل مقعداً ، دون دعوة ، ليعكر صفاء الجلسة الهانئة .

في الحفلات العامـة ، في الصالونات .. . يأبى الخربر الا ان

يكون له صدر الجلسة ، فيحتكر الحديث ، ويخوض جميـع المواضيع ، ويعالجها كأنه الخبير الموثوق ، والعالم العلامة الذي لا يشق له في كل فن غبار ، ثم ينتحي بك في زاوية طالباً اليك بإلحاح ان تبت له في معاملة ، فيفسد عليك جو المناسبة ، ليعيدك الى أجواء عملك الذي هربت منه ! .

وقد يمتهن احد «الخربرين» صناعـة النكتة وخفة الدم .. حتى يصبح سلامه مصحوباً دائماً بنكتة !

ولعل «الخربريات» من السيدات هن اشد فتكاً بالاعصاب من الرجال « الخربريين » ..

فقـد تلتفت إحداهن الى جارتها في حفلة عامة وتسألها : « من اين لك هذه المجوهرات التي تغطي عنقك واصبعـك ؟؟ هل هي حقيقية ام زائفـة ؟؟.. ومن اين لك هذا الفراء الثمين ؟؟. »

او قد تنظر الى سيدة اخرى وقد امضت الساعات عنـد الحلاق تصفف شعرها فتقول لها :

« ان هذه القصة لا توافق شكل وجهك ! »

وقد تمسك بك اخرى ، وتلح عليك ان تصغي اليها لتقرأ لك احدى عجائبها القصصية التي ستنشرها قريبـاً في احدى المجلات فيجبرك تهذيبك ان تبقى مقزز العينين محطم الاعصاب مدة طويلة !

واخرى من ذوات « الخربر » يطيب لها الحديـث عن ذكاء اطفالها وجمالهم وخفة دمهم الا امام سيدة حرمت نعمة

الاولاد .. كأن عملية انجاب الاولاد هي عمل بطولي خارق !

وبعض «الخربريين» و «الخربريات» لا يتحدثون عن صحتهم « الحديد » الا امام المرضى !

وبعض الاغنياء منهم لا يطيب لهم التحـدث عن سياراتهم وبناياتهم وخدمهم الا امام الفقراء المعدمين !

وهناك « الطائفيون » اصحاب الدكاكين « المغبرة » الذين يتخذون من الدين وسيلة للوصول ، كلمـا احسوا بقرب افول نجمهم ، يسحبون « خربرهم » ليتاجروا بالطائفية في بلد بني على الطائفية .

وهناك الطابور الخامس، الدائم،الذي يملك خربراً اشد فتكاً من كل « الخربرات » ، فهو وقد وضع نصب عينيه تدمير البلد ، بنشر الاشاعات والاكاذيب ، يحـاول ابداً ان ينخر اعصاب الدولة والمواطنين لحساب الاغراب و « المستوطنين » .

★ ★ ★

فاذا كان الخربر يا صاحبي بيد طبيب الاسنان يداعـب الاعصاب ويرهقها ، ليريح الجسم من فتك سـوس الاضراس ، فان « الخربر » البشري في هذا البـلد .. عدا عن ارهاقـه لأعصابنا ، وتقصيره لأعمارنا، فإنه ينخر « كياننا » ويقضي على عافية مجتمعنا !

طاووس ...

حدثني صاحبي قال :

ما أشبه الكاتب الأديب بربان الطائرة . كلاهما على كف عفريت ، يحاذران عند الاقلاع ، ويحاولان طوال المسير ضبط الأعصاب لحفظ التوازن وهما ينشدان غاية واحدة: سلامة النهاية.

على أن السلامة عند الطيار في الغالب أضمن منها عند الأديب لأن قاعدة الاول (مطاره) مهيئة على أصول عصرية منظمة ، بخلاف قاعدة الثاني (مجتمعه) الذي سادته الفوضى ، واختلفت فيه المقاييس ، وتعددت معه الاذواق ..

اذاً فللكاتب الاديب ، يا صاحبي ، فضل اكبر ، اذا تمكن من تحقيق سلامة قرائه (ركابه) في سفرتهم معه في مقاله ...

ولا انكر ان نقد المجتمع هو من الامور المجلبة للبغض لما فيه «خرّبرية» للاعصاب وايلام للنفوس، وقديماً قيل: الحقيقة تجرح.

على ان عزاءنا في كل هذا ، ايماننا اننا في كشفنا للعيوب قد نصل الى تصحيح بعض الاوضاع ، واعلاء شأن الحقيقة .

وهل تقلّ رسالة الاديب في مجتمعه خطورة عن مهمة « القانون » في تنظيم شؤون الناس .

★ ★ ★

راكبنا اليوم ، موضوع هذه المقابلة ، او الرحلة ، الذي سأحدثك عنه هو فريد من نوعه. انموذج حي صادق ، يمثل ذهنية

طغت على مجتمعنا .

هو جميل . فاتن. ساحر . اخاذ . انه قمر زمانه. انه انسان طاووس .

والطاووس على ما نعلم هو طائر ذو لونين مختلفين : ازرق يستوطن الهند وسيلان حيث تعبده بعض القبائل . واخضر يعيش في الهند الصينية وجاوا ويبلغ طوله في الاحوال العادية ستون سنتمتراً . اما في اوقات عجرفته فقد يبلغ المتر ارتفاعاً . .

لكن صاحبنا الذي احدثك عنه اليوم فـــاق الطاووس « طوسنة » فقـــد اغرم بنفسه ، وعظم اعتداده بكفاءته حتى اصبحت شخصيته مركز تفكيره الدائم ، ومصدر اعماله .

امران رئيسيان يشغلانه في الليل وفي النهار :

المرأة . . والمرآة !

يقف الساعات الطوال امام المرآة مسوسحاً بمفاتن صورته ، يزجج حاجبيه ، ويعارك شعرة قد يكون « كوافيره » —حلاقه— نسي ان يزيلها وهو يقوم بورشة « تطويسه » اليومية .

ثم يصلح ربطة عنقه ويثبت اكتـــاف جاكيتته المحشوة ، ويتأكد من عدم « جعلكة » ثنيات بنطلونه ، فتستمر هـــذه العملية وقتاً ليس بالقليل .

ويطفش موكب الجمال هذا ، الى المجتمع عازمـاً على صرع اجمل حسناء ، وايقاعها واذلالها بسحره .

لو تراه وقد بدأ عمله اليومي ، لتحققت من صدق الاسطورة التي تقول ان الكون انبثق عن طاووس !!

وقد يختار اولى ضحاياه .. فيدخل مطعماً او مقهى ، يقلد مشية ليست له ، ينتقل بخطى بطيئة مدروسة كأنه قد أثقل بالرصاص حذاءه ، أو عبأ رملاً جيوبه ..

يوزع ابتساماته وتكشيراته بعدل وقسطاس، ويحفظ توازنه، فيمسك بطرف كمه، الذي يعلن عنه زر مذهب ثم ينتقي الطاولة التي تدله عليها حاسته النفعية السادسة ، ليجالس الطبقة المتناسبة مع ارتفاع منزلته .

وبعد ان يستقر على مقعده ، يدير رقبته ، ويلويها ، بسهولة « لوي » الوز لرقبته ، فيحدج جيرانه من عباد الله المساكين ، بنظرات أحدّ من نظرات النسر ، ويبدأ حديثه عن نفسه .

عن ضحاياه من سيدات المجتمع .

عن ملابسه ، عن خياطه المفضل ، عن صانع احذيته ، عن التاجر الذي ابتاع منه بدلته « الكوبون» وكيف انه احضر كوبونين فقط : واحد له والآخر للارستقراطي المثري فلان .

وما يزال يتلفت ، ويتحدث ، حتى تتمنى لو ان لك شمسيه تتقي انهال غيث بصاقه .

وقد تستأذن فتذهب لقضاء حاجة ، وتعود ، وصاحبنا ما زال في ربيع « هذرمته » .

ويفتح عليك ربك ، فينتهي عندما يشعر انه فرض نفسه انساناً متفوقاً ، فتنسحب لتأخذ حمام هواء ، بعد هذه الجلسة الخانقة .

فهو اذ يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه أصبح في بلاده ضرورة

كالماء والهواء ، وأنه بات أغنية في كل حنجرة ، وهمسة على كل شفة ، ولحناً مسكراً يردده الناس في كل مكان .

عمد الى بعض النافذين ، وأوقعهم بشراكه بما بذل من زلفى ، واكتسب ثقتهم ، واصبح يتيه في ارجاء مجتمعه زاعماً أنه في كل لحظة محجوز مع المسؤولين ، حتى أنه في كثير من الاحيان يتهرب من ازعاجاتهم .

فنزحوه ! فظلموه ! عندما طوسوه !

وبعد ! أو ليس هو المفكر الذي يفيق الشعب كل يوم ليتغذى ويستنير بآرائه ؟

أو ليس هو الذي ملأ الدنيا وشغل المنابر بمحاضرات لحل أزمة البلد الاقتصادية والاجتماعية ؟؟

ان هاجم مسؤولاً فهو ساقط لا محالة . وإن أيد وزارة خلدت في الحكم .. ما من زعيم أو مسؤول كبير الا ويخطب وده ويتمنى رضاه .

أليس هو السياسي الداهية ، والاقتصادي الكبير ، والديبلوماسي اللبق الذي يعود اليه الفضل وحده في إعادة الثقة بين الحاكم والمحكوم ؟

أما إذا تغاضى المسؤولون عنه فويل للشعب .. وويل للبلاد .

فهو النبي الذي لم يكرم في بلده . . .
وهو العبقري الذي غمط حقه . .
وهو النابغة الذي جهل قدره .

هو ديك « شانت كلار » الذي لا تطلع الشمس قبل صياحه. هو التمساح الذي يعتقد انه يسد النهر او يوقف مجراه.

والعجب انه لشدة اتقان دوره، واعتداده بنفسه، قد كثر حوله المتزلفون وسرعان ما اصبح الكل في الكل في محيط عمله، فتحكم بمرؤوسيه وقوس ظهره لرؤسائه وأصبحت رغباته وشهواته أوامر منجزة. وهو كلما نال مطلباً تفتحت شهيته لمطالب حتى أصبح حاله كحال النيكوتين كلما ازدادت كميته في الجسم، كلما ازدادت شهية الجسم الى التدخين.

* * *

أوقفت صاحبي وهدأت من ثورته قائلاً:

– قد يكون هذا الطاووس في كل أمة، وفي كل عصر. فمالك تقسو على بلدك ولا تغفر لإنسان بعض ضعفه ؟؟

أجاب صاحبي: لكنه في الامم الحية نادر.

ثم أنهى حديثه قائلاً:

– أولا يسوؤك إشعاع مثل هذا المخلوق ولمعانه واحتلاله صدارة مجتمعه ؟! إن بلداً لا « يبوظ » فيه مثل هذا الطاووس المتعدد الالوان، هو بلد ليس له حق في أن يدعي الاشعاع ..

الموظف المثالي

تسألني يا صاحبي من يكون ؟؟
تسألني ما هي المثالية عنده ؟؟

هو انسان اصطفاه الزمن ، او قل ظرف عابر ، فأقعده ، حيث قدر له ، سلطاناً وليس كالسلاطين !!

وهو ، رداء مصطنع ، ولكنه شفاف ، يختفي وراء الف لون ولون ، من وجاهة كاذبة ، واحترام خادع ، عنجهية مزورة ، وقنزحة فارغة .

سلطان بدون بركة !! الا انه ، على كل حال سلطان ، على الاقل ينظر الى نفسه كما ينظر كل سلطان !!

ولقد شهد لبنان اصنافاً من هؤلاء السلاطين ، وما قاموا به من تجاوز للقوانين ، واستغلال للنفوذ ما كاد يفقد المواطنين ثقتهم في الاصلاح ، ويكفروا بنعمة الاستقلال !!

يستيقظ صاحبنا في الصباح وهو مكشر الشفتين ، ويلزم فراشه ساعة يفكر خلالها بمشاكل يومه ! وما يومه إلا دنيا حافلة بالمشاكل .

ثم يتثاءب قليلاً ، ويرتدي ثيابه اللماعة الأنيقة ، ويمضي الى مقهى قرب الشاطىء الرحب لتناول طعام الصباح ..

وهناك يجتمع الى اصحاب المصالح من كبار التجار ، وبعض

الأثرياء اصحاب المشاريع الحيوية .. ولا يتورع عن ممارسة احقر الاساليب التجارية « فالنهب همه لا الكسب ! » ويتطلــع الى ساعته ، فيجد انها جاوزت العاشرة بقليل ، فيقرر الذهاب الى دائرته ..

ويلج باب « محرابه » وهو مقطب الجبين ! « كبار النفوس تزيدهم المناصب العالية ارتفاعاً وصغار النفوس تزيدهم انخفاضاً . »

ويبدأ عمله بمطالعة الصحف، وهو عادة لا يدفع اشتراكها .. ويهتم أولاً بأسعار البورصة ليطمئن الى سلامة صحة « اسهمه » ، والحاجب مسمر على الباب، يكش اصحاب المصالح من المراجعين، مردداً : سعادة البيك يعقد اجتماعاً خطيراً ، وهو لــــن يستقبل احداً قبل الساعة الثانية عشرة .

ويرضخ المواطنون المراجعون لعنتريات الحاجب ويضرعون الى الله ان يمن عليهم بفرج قريب !!

وقد يكون الاجتماع خطيراً حقاً ولعل صاحـب السعادة يراجع مع بعض اصدقائه ، من جوكية السبق ، اسماء الخيــــل المقدر لها ان تربح .

او ان سمسار شركات البارولي السرية يسجل اسماء الجياد التي تم الاتفاق على لعبها !!

او ان حضرة الموظف المثالي الكبير يكون « منشغلاً » !!! بسكرتيرته يشكو اليها .. ثقل دم المراجعين ، والصـداع المؤلم الناتج عن كثرة اعماله وارهاقه ! ..

واخيراً ينزاح الستار ، بعد ان بلغت الساعـة الثانية عشرة ،

فيمنح سعادته المراجعين شرف المثول بين يديه !!

ويبدأ بقذف « الصواريخ » بوجه احد المراجعين قائلاً : لا يمكنني تحقيق طلبك اليوم لأن معاملتك تحتاج الى درس .. عد الي بعد عشرة أيام ، بعد عشرين يوماً .. انني بحاجة الى تحكيم ضميري ؟؟ وانا لا اسلق المعاملات سلقاً . (يعز عليه احياناً ان تمر تحت عينيه الواسعتين المعاملات المالية ، فيصاب بنوبة حسد ، ويسيل لعابه ، ويفتح فاه ولسان حاله يقول : لماذا لا يكون لي فيها ربح ؟؟ لماذا يقبض هو ولا اقبض أنا ؟؟)

فأنا ما ارتقيت الى منصبي الكبير هذا إلا بفضل اخلاصي ونزاهتي وتجردي . . . (كم فقدت هذه الكلمات من اصالة معانيها)

ثم يوجه سيلاً من عنترياته فيقول : أعلموا ان لولا جهادي لما وصل فلان الى منصب الرئاسة ..وان هذا الاستقلال الذي تنعمون به لمدين الى يميني وبطولتي !!

وبعد ان ينتهي من فنزحاته ينقلب الى واعظ .. ويرتجل معزوفة يستهلها بقوله: ما هذه الحال؟؟ الى اين المصير ؟؟ حكومة ما في !! مجتمع ظالم !! غلاء .. رشوة .. عقوق .. بلدنا أصبح « كاراج » .. راتب الموظف لا يكفيه لشراء الدخان ، ودفع ثمن القهوة للزائرين .. شعب مقرف .. لعن الله من علمني ان أكون موظفاً .. هذا البلد بات جهنماً .. لم أر بلداً في حياتي ضاعت المقاييس فيه كهذا البلد !!

وينهي معزوفته قائلا : ان الشرق ما زال متأخراً .

وتهدأ ثورة صاحبنا فجأة ، إذ يدخـل نائب مرموق يحمل سبحة ، ومظاهر العظمة تبدو في سحنته ..

فينقلب الموظف من ذئب كاسر الى حمل وديع يذوب لطفاً وتهذيباً !!

يترك كرسيه ، ليجلس ، بتواضع ، الى جانب « السلطان » الجديد الداخل ، زيادة منه في التكريم ، وعربونـاً للاستزلام والاستسلام ! .. الغريب ان في نفس تلك الفئـة من الموظفين حاسة سادسة ، يدركون معها ما يرضي النائب ويشرح صـدره : انهم « يدوبلون » عليه ، فيخلقون أبوابـاً كثيرة لخدمته .. يذكرونه بطرق واساليب سهت عن باله .. ولسان حالهم يقول : لنحجز لنا مكاناً في قطار وزير المستقبل !! .

الواقع يا صاحبي هو انني :

مـا رأيت في حياتي اشد عجرفة من هذه المخلوقات مع مرؤوسيهم ، ولا اوضع نفساً واحقر غاية ، وأحط قـدراً ازاء رؤسائهم أو نوابهم ...

صفة الوضيع ، النمردة على الضعيف ، والخنوع للقوي ...

بقي ان تعرف ، يا صاحبي ، ان الموظف المثـالي لا يعتمد الافلاطونية في انتقاء اصحابه : فهو يوطد علاقاته مع بعض اصحاب النوادي ، والكباريهات ، والفنادق ، توفيراً على جيبه ، وعمـلاً بأصول الاقتصاد الحديث . حتى اذا مـا دخل احدَ تلك الأمكنة يكون ضيفاً بصورة اوتوماتيكية ... وفي غالب الاحيان يصبح « رب المنزل » ...

ثم يختار نفراً، من الصحفيين لينشروا امجاده في المجتمع، هذا المجتمع الذي ما زال يؤخذ ببهرجة المظاهر ولمعان الوظيفة ...

... هذا المجتمع الذي يقدم فيه الموظف على كبار العلماء في المناسبات العامة، ملتزماً العادة العثمانية الموروثة، التي جعلت الموظف دوماً في المقدمة «كحاملي بساط الرحمة» ...

والموظف المثالي الكبير يوسع غالباً أفقه، فهو، وقد ضاقت به ارجاء بلاده، لا ينسى ابداً ان يتصل ببعض المؤسسات والشركات الاجنبية، وبعض السفارات احياناً، ينهب منها دعوة الى البلاد التي تنتمي اليها. وعادة يكون الاتصال على حساب كرامة بلده، وعلى حساب ذمته .. وتتم الدعوة.

وفي الغد يقرأ الناس خبراً خطيراً بالحروف البارزة «غادر العاصمة صباح اليوم .. فلان الفلاني، الموظف والمسؤول الكبير، متوجهاً الى البلد الفلاني بمهمة رسمية».

«وقد سأله مندوبنا المتجول .. عن اهداف رحلته، فابتسم .. واعتصم بالصمت (المشهور عنه) ورفض البوح عن الأسباب.»

ويسافر سعادته، وبعد ان يبيض وجه بلاده في الخارج، ويعلي من شأنها، وبعد ان يكون قد اصطاد وكالة شركة للبلد الذي أضافه، أو عقد صفقة خاصة تضاعف من ثروته، يعود الى بلده، فتزف بعض الصحف بشرى عودته بعد ان انجز مهمته بنجاح.

وكذلك يشارك الراديو والتلفزيون الصحف بالترحيب، فيعلن انه قابل بعض كبار المسؤولين الذين قدم لهم تقريراً مفصلاً عن

المهمة التي انجزها في الخارج .

ولا ينسى ان ينظم ، اول ما يدخل مكتبه ، جدولاً عريضاً بالمصارفات التي انفقها في الخارج ، ليقبضها نقداً وعداً من صندوق الدولة ... من مال الشعب...

هذا هو الموظف المثالي ...

هذه هي المثالية عنده ...

عاش هو ، وعاشت مثاليته ...

لبنان بلد... الستربتيز

الستريب – تيز Strip Tease كلمة تعني بلغة أهـــل الفن « التعرية » .. التعرية تدريجياً أمام الجمهور . اذ تبدأ الفنانة بخلع ملابسها قطعة قطعة .. حتى تصبح أو تكاد « ربي كما خلقتني » .. و « الستريب تيز » ، أو التعرية ، لا تقتصر فقط على أهل الفن .. بل تتعداه الى كثير من مرافق الحياة .. فتطبق على السياسي ورجل المجتمع وغيرهما وغيرهما .

وإذا كانت الحسناء ، عندما تتعرى ، تظهر بعض المفاتن وتثير بعض الغرائز ، فإن السياسي أو أي انسان في المجتمع حينما يقلد الحسناء .. بعريها واباحيتها . ينقلب الى سعدان بشع تنبو عنـــه الأبصار ، وتشمئز من رؤيته الأنفس .

فمن مبادىء الستريب – تيز ان ينتقي صاحب الملهى « أو الكباريه » أوفر الممثلات جمـالاً ، وأشدهن فتنة واغراء . فتسر لرؤيتهن العيون .. وترتاح الى اغرائهن الغرائز .

أمـا بعض الساسة ، ورجال المجتمع ، فإنهم على النقيض حين « يستربتزون » ، يعرون مع اشخاصهم ، لبنان كل لبنان ، كاشفين عوراتهم وعوراته .. فتكون جريمتهم ابشع ، والمصيبة فيهم اشنع وافدح عند اصحاب الفضل ، من جريمة تستر حسناء الكباريه بورقة التوت امام الجمهور المصفق النشوان .

ولقد تغلغلت الستريبتيزية في جميع أوساط الحيـــاة عندنا.. وتفرعت ونمت في خباياها .. حتى ان بعض الصحف لم تتورع عن ولوج البيوت والقصور باحثـة منقبة عن فضيحـة مثيرة .. معرية اجساداً من المفروض ان تظل متسترة .

فلان شوهد مع زوجة فلان يتناولان طعام العشاء على الروشة بانسجام تام ..

وفلانـــة .. السيدة الارستقراطيـة المعروفة .. ونجمـــة المجتمع... كانت تراقص فلاناً الخد على الخد.. « تشيك تو تشيك».

وفلانة أهداها زوجها في عيد ميلادها « فراء » ثمنه يعادل مرتب زوجها طوال العام .. فمن أين له هذا ؟؟.

اخبار تافهة ، لكنها ، على كل حـال ، تسود بياضاً في صفحة اخبار المجتمع .

صفحة اخبار المجتمع .. انها في نظري ، يا صاحبي ، من أسخف ابواب الجريدة .. لكن الاقبال عليها يفوق حد الوصف .. حتى ان الكثيرين من القراء يبتاعون الجريدة ليطالعوا اخبار المجتمع ، فينطبق عليهم المبدأ الاقتصادي المعروف « في السوق » البضاعـة الفاسدة تكتسح امامها البضاعة الجيدة .

واذكر ، على سبيل المثال ، ان صديقاً سألني ذات مرة بلهفة: يا هذا ان بالي جـد مشغول على فلان .. فقد مرَّ اسبوع ولم أرَ له ذكراً في باب المجتمـع .. أرجو ان لا يكون حدث له أي مكروه ...

ويحظى المشرف على تحرير هذه الصفحـة بأسمى أنواع التبجيل

والاكرام . والأبواب دائماً مفتوحة بوجهه ، وأسمه في رأس قائمة المدعوين الى الحفلات الاجتماعية .

وتبلغ « الستريبتيزية »عند بعض الناس أوجهـــا ، حينما يقيم أحدهم حفلة كوكتيل .. فيضع مكبرات الصوت خـارج منزله لتعلن اسماء اصحاب السيارات من المدعوين .

حتى ان أحدهم وضع ، ذات ليلة ، اربعة مكبرات للصوت موجهة ، حتى لا تحرم المنطقة بأجمعها من نعمة معرفة الخبر..خبر الحفلة..وتمشياً مع مبدأ لا غالب ولا مغلوب في المساواة بين شرقي العاصمة وغربيها .. جنوبها وشمالها ..

والظريف ان مذيع « الميكروفون » يعطي ، حين ينادي كلًا من المدعوين،لقباً، أكبر من اللقب الذي يستحق..فالأفندي يصبح « بيكاً » ، والموظف الصغير يصبح مـديراً في الدولة .. والنفر الجندرمة يصبح ضابطاً .. والضابط ينال رتبـة أرفع .. وتنتهي الحفلة .. بصخبها وضجيجها ..

وينام صاحب الدعوة قرير العين ، بعد ان يكون قد أقلق الأحياء المحيطة بمنزله .. وتسبب بعرقلة السير .

ينام على أكليل من الغار .. ناعماً « بستريبتيزيته » ، ليستفيق في الصباح التالي فيكحل عينيه برؤية صور حفلته وقد ملأت صدر المجلات وبعض الصحف .. وأحياناً شاشة التلفزيون .

ما رأيت نظرة أشد تعبيراً من نظرة بعض الوجهاء في الحفلات، حينما يقفون قرب احد كبار المسؤولين يستجدون لقطة المصور.. فيبدو « الستريبتيزي » هذا .. باسماً .. يظهر للملأ مـا بينه وبين

الكبير من « خوش بوش » . وقد تحدث أزمة عندما يتسابق الحاضرون الى الوقوف قرب الكبير.. أو عندما يكثر عدد اولئك « الستريبتيزيين »، فيلتصق الكتف على الكتف.. ويختلط الحابل بالنابل .. وتكون النتيجة ، في غالب الاحيان ، ان يظهر في الصورة جميع الحاضرين ما عدا الكبير المرموق. المفروض فيه ان يكون هو المقصود بالتصوير ..

وقد تصادف في بعض الحفلات الرسمية أحد هؤلاء « الستريبتيزيين »وقد أحنت ظهره الأوسمة التي استجداها ليزين بها صدره .. فبدا « كغورنغ » الماريشال الالماني .. وقد تبلغ بصاحبنا القحة بأن يشير الى أكبر الأوسمة المزروعة على صدره ويقول : يحمل هذا الوسام اثنان فقط : انا .. وفلان القائد المشهور .

ومن « الستريبتيزية » المتفشية في مجتمعنا مسألة المرض.. حتى بات على العاقل الحكيم ان يخفي أخبار مرضه ، حتى ولو كان مصاباً بالزكام .

أعرف رجلًا بدأ المجتمع في أول الأمر يتحدث عن اصابته بالملاريا.. وما زال داؤه يتجسم وينمو ويترقى بفضل « الستريبتيز» والاهتمام بشؤون الغير، حتى ارتفع اليوم الى مرتبة « السرطان».

فقد تلتقي بأحدهم .. فيبادلك بلهفة سائلًا لماذا أنت هزيل ؟ هل أنت مصاب بالسكري ?? أم ان قلبك غير سليم ?? .

والمفروض انه يفرح ان أجبته بالنفي .. وانك تتعمد تخفيف وزنك محافظة على الرشاقة .

لكن الواقع .. ان « ستريبتيزيته » نهمة لسماع جوابك انك مريض .. وان كميات السكري غير قليلة في دمك .. وان قلبك مضطرب غير سليم .

وآخر يتلذذ وهو ينظر اليك بعين « الستريبتيز » كيف تحرق السجائر ..وكلما ازددت تدخيناً .. كلما أصابته نشوة الستريب – تيز ..

وابناء الذوات لهم همومهم « الستريبتيزية » ، فهم يلتقون عادة ، صباح كل اثنين ، في كاراج « الجاكوار » أو المرسيدس.. يشكو كل واحد الى « الميكانيكي » كيف انقطع ، بعد ظهر أمس الأحد ، على طريق « شتوره » ، أو طريق صيدا ، بينما كانت الى جانبه صديقته .. فلانة .

وقد تتطور الاحاديث بين أبناء الذوات من العموميات الى الخصوصيات .. وقد يشركون معهم الميكانيكي إدلالاً على ديمقراطيتهم ، وإمعاناً في « ستريبتيزيتهم » .

وكذلك يتجلى الستريب – تيز في بيوت النواب ، حين يرابط أصحاب الحاجات من الناخبين . ترى طالب الوظيفة يكاد يعري نفسه أمام نائبه . يتمخطر ويتمطى ويتفلسف أحياناً ..

فإذا كان الشاب مرشحاً لوظيفة دركي ، مثلاً رأيته يقلد الأسد في مشيته .. يضرب الأرض برجله .. همه اقناع النائب بأنه خير من يبيض الوجه في سلك الدرك ..

أما اذا كان مرشحاً لوظيفة معلم في المدارس الرسمية، فكلامه « بالنحوي » ، ولا بأس ان يرتدي النظارات ، حتى ولو كانت

عيناه في حدة بصر النسر .

وهناك « ستريبتيزية » بعض الصالونات الارستقراطية ، حيث تسود الأحاديث الوسخة المشفلقة ..

سيدات تروي أوسخ القصص .. وتتبارى في الغوص في القذارات .. حتى تأنف ، أنت الرجل ، وتستحي من سماعها .

ولعل أشد أنواع الستريب - تيز .. خطراً هو ستريبتيز المقابلات الرسمية في المكاتب أو في الكوكتيلات .. حيث يفرض على المواطن ان يبتعد ، ما أمكنه ، عن البوح .. ونبذ الكلام عن عيوبنا السياسية والاجتماعية .. فعند أول اتصال بين رجل سياسي وآخر أجنبي ، سرعان ما يبدأ بعض الرجال عندنا في كشف عيوبنا السياسية والاجتماعية والاخلاقية .

ليس للاجنبي الحق في التدخل بشؤوننا ،وعلينا ان لا «نستربتز» أحوالنا أمامه . فعيوبنا وعوراتنا قد تكون عند الأجنبي أشد واكثر .. وقد تعاشر انكليزياً أو المانياً أو هندياً .. فلا يخبرك إن كان متزوجاً أم عازباً .

أما عندنا ، فقد يبوح له البعض بكل شاردة وواردة .

وأي أجنبي يزورنا ، ولو لمدة قصيرة ، لا يعلم كيف تجري الانتخابات ، وتعين البلديات ??

أي اجنبي لا يعرف من هو الرجل السياسي الذي دفع مئات الألوف ليصل الى النيابة . واحياناً الى كرسي الوزارة ، كما كان يحدث في العهود السابقة ??.

اي اجنبي يجهل ان فلاناً يقبض لينام على فضيحة او يسكت

عن رشوة .. او صفقة ؟؟ .

ألا نخجل من انفسنا عندما نسمع ان مندوباً لبلادنا زار بعض البلدان الأجنبية ، حيث استقبل بالإكرام والترحاب .. وفي حفلة اقيمت على شرفه وشرف بلاده .. اجاب على خطاب صاحب الدعوة ، وقد اشاد بالعلاقات التاريخية والروابط الثقافية والتاريخية بين البلدين ..

فيترك صاحبنا المواطن لستريبتيزيته العنان ، ويجيب بخطاب ستريبتيزي ملخصه « انه ، بكل سرور ، يقبل العون والمساعدة من البلد الأجنبي ، لكن دون قيود او شروط . »

بعض رجالنا.. لا يكتفون بتعرية أنفسهم ، بل يعرون لبنان معهم .. إذ ينقلون الى الأجنبي بلدنا في أبشع صورة حتى ان بعضهم أعلن عن « عدم امكان » بلاده في حقل الدفاع عن سلامة أرضه ..

وقد تبلغ « الستريبتيزية » ذروتها عندما يبدي احد اصحاب الملايين رغبة في شراء عقار أو أرض.. فينقلب سراة القوم وكبارها الى سماسرة مهرة حاذقين .. ويتفنن كل لص أو سمسار بإظهار مقدرته وعبقريته في فن النفاق .

والستريبتيزية ، أو التعرية الاخلاقية ،داء استشرى في بلدنا.. وهذه أمثلة قليلة من كثير غيرها .

ورأيي أن الدولة الى جانب النخبة من المواطنين الشرفاء الأخيار ، مدعوة للضرب بشدة على أيدي اصحاب هذا الفن الذي يعتبر من الفنون الجميلة . ولئن كانت التعرية الفنية ، عند المرأة في

الكباريه ، على الرغم مما تظهر من اغراء وجمال ، تبدو بشعة وغير مستحبة في كثير من الأحيان .

فكيف بها عند بعض السياسيين والاشخاص عندما تكشف عورات بلد .. وعيوب شعب ?

نوادي الاستقلال

اعتدل صاحبي في مقعده ثم تنحنح وقال :

سألتني ان أقص عليك بعضاً من ذكرياتي عن الاستقلال ، وشيئاً مما اعرفه عن جهاد بعض زعماء هذا الاستقلال الذي بدأ بثورة وانتهى بصفقة تقاسم مغانمها أولئك الراسخون في علم « الكشاتبين » على حساب بعض السذج من اللبنانيين ..

وراح صاحبي ، وقد عرفته ركناً من اركان هذا الاستقلال ، يتدفق في الحديث ، وامارات الأسى والخيبة تبدو واضحة في قسمات وجهه ونبرات صوته .

في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ افرج الفرنسيون عن الزعماء المعتقلين في راشيا ، وانتهى عهد ليبدأ عهد.

أيام بشامون تولت ولم يبق منها إلا صورة لا تزال عالقة في خيالي ...

أجل . عاد الحق الى نصابه ، بعودة الحكومة الشرعية الى ممارسة سلطاتها وسلطانها ، واستعدنا السيادة والحرية اللتين فقدناهما طوال ثلاثة عشر يوماً .

وبانتهاء هذا الجهاد انتهى جهادي ...

وبدأت حياة جديدة . أعيش على هواي لا هدف لي ولا مرمى .. ولا أمل أصبو اليه أو أمنية اتمنى ان تحققها لي الأيام

الطالعة ، وأصبحت في حالة نفسية لا أفرق معها بين الخير والشر ، بين العاطفة وبين الواجب ..

لقد نمت على أمجادي وبطولاتي السابقة كما نام عليها سواي ، وأصبحت بين ليلة وضحاها زعيماً معروفاً ومجاهداً كبيراً ...

لقد اخترت السياسة لي مهنة لأنها في بلادنا لا تتطلب رأس مال معيناً ، فهي إذ تمنح الفرد كل شيء ، يصبح الفرد كل شيء شرط انتمائه الى الحزب الناجح ...

وهي بعكس التجارة والاقتصاد وغيرهما من الفنون التي تتطلب كفاءة خاصة ومقدرة كبيرة لتحقيق النجاح فيها .

وقلت بيني وبين نفسي : آن لك يا رجل أن تتمتع بثمرات الزعامة وتقطف خيرات النضال ، وهل هنالك في لبنان مدرسة تعلّم النضال لوجه الله دون ان تكون الدوافع مركزة على الأنانية الذاتية ؟ ؟

تطلعت حولي فما رأيت إلا زعماء يسخرون نفوذهم لنيل ما يتمنون ، ويكسبون الألوف ومئات الألوف بطرق مشبوهة مريبة ...

فالرشوة عمّت الدواوين ... وبعض الموظفين ولا سيما كبارهم انقلبوا سراعاً الى سماسرة بيع رخص الغزل والتصدير في وزارة التموين ...

المحسوبيات والشفاعات عادت الى سابق عزها ، بعد الركود الذي كان قد اصابها ، بفضل بعض الأبناء المدللين وأقرباء المسؤولين الجشعين ...

وراح كل من مشى في مظاهرة أو حمل شعاراً منادياً بالحرية والاستقلال أو شتم اجنبياً أو صفق لزعيم من الزعماء المجاهدين المعتقلين يطالب بالثمن ...

لقد حز في نفسي وفي نفس الكثيرين من اخواني ان تعود المآسي التي كانت تمثل على مسرح السياسة زمن الانتداب وقلت :

ألمثل هذا المصير ثار الشعب ضد الاجنبي الغاصب ?? ألمثل هذه الحال ثار لبنان ??

واندفع صاحبي في نوبة حماسية يقول :

وبعض المسؤولين ?? أو ليسوا هم التافهون واولئك الصنف من البشر الذين يختبأون وراء مركزهم المرموق ، ومحتدهم الموروث ، وغناهم المنهوب فلا تصل الى دخائلهم أعين النقاد ، ويستغلون صداقة من هم دونهم رتبة ، وأرفع منهم مستوى واخلاقاً ، حتى ينقلب الجزار ضحية ، وتظهر الضحية جزاراً ...

هكذا كان حال المواطن الشريف مع بعض المسؤولين الكبار في فجر الاستقلال ...

رأيت اولئك المسؤولين الجزارين يحمون نوادي القمار بما اسبغوا عليها من نفوذ ، وما فرضوه من جزية على أصحابها ، ولا عجب . فالقمار كان ممنوعاً ودوريات الأمن كان مفروضاً فيها ان تبحث ليل نهار عن أعشاش القمار التي كانت تهدر فوق موائدها الكرامات ، لكن هذه الأعشاش « النوادي » كانت تعمل ليل نهار بفضل بعض الوزراء والزعماء، كأنما كان لكل نادٍ وزير يحرسه أو زعيم يحميه .

وتلفتُ حولي أبحث عن مصدر سهل للرزق فما وجدت افضل من نوادي القمار حيث يأمل الانسان ان تسنح له فرصة سعيدة فيجني ثروة ينعم بها ...

وهكذا نسجت على منوال بعض الزعماء الذين ملأت شهرتهم لبنان ودخلت نوادي القمار حيث تعرفت فيها الى ضروب من الخداع مما جعلني أوقن ان الذين يبحثون عن الثروة هنا لن يصلوا الى تحقيق هدفهم البتة ، بل يتوجب عليهم ان يؤمنوا بفضائل ثلاث لكي ينالوا الغنى: الصبر والحكمة والاقتصاد ، فهي كفيلة بتحقيق احلامهم .

رأيت بعض المسؤولين يفرضون الكانيوت على المائدة التي كانوا يلعبون عليها ، بحجة اعطائها « مثلاً » لسائق سيارتهم .. وفي آخر الليل يستأثر المسؤول الزعيم بالكانيوت ، بعد ان يرمي ببعضه الى سائقه الفقير ..

كانت هذه النوادي تغص بالناس من كل جنس ولون : حول موائدها يقف الكبير والصغير ، القوي والصعلوك على حد سواء ، كلهم صامت خاشع . كأنما الكل في معبد للصلاة .. لا في نادٍ للقمار ...

عرفت سيدة ارستقراطية راهنت بمبلغ من المال في البكاراه . وعندما صاح مدير اللعبة :من يغطي هذا المبلغ من المال ؟؟ أجاب صوت من احدى الزوايا : « بنكو ».ربح صاحب الصوت الورقة وخسرت السيدة وتبين ان الذي كان سبب خسارتها « صاحب الصوت » لم يكن الا « الطباخ » في قصرها ..

وأخطر ما في هذه النوادي انها تبقى نابضة بالحياة حتى آخر الليل .. والليل ستار العيوب يخبىء في جنباته ما كان يجب ان يظل مستوراً ..

والكثرة من زبائن هذه النوادي هي من الجنس الناعم اللطيف.. وغير اللطيف . خصوصاً سيدات الطبقة التي يقولون انها راقية .. وقد يقترب بعض اللصوص المحترفين الواقفين بالمرصاد للسيدات يعرضون عليهن المساعدة عند خسارتهن .

اعرف سيدة خسرت في إحدى الليالي مالاً كثيراً حتى فرغ « جزدانها » فتقدم احد لصوص النادي وعرض عليها بكياسة فائقة ، مبلغاً من المال ، يساعدها على تعويض خسائرها !! .

فمانعت في بادىء الأمر ورفضت العرض .. لكنها ضعفت امام إلحاحه ، ولا عجب فالمقامر نهم شره يحاول التعويض (وما اسوأ من عادة القمار إلا رغبة التعويض ..) وهكذا رضخت السيدة في نهاية الامر وقبلت العرض السخي .. ولكنها ندمت بعد ذلك عندما تبين لها أنه ما من معروف يسدى إلا مقابل ثمن.. وكان الثمن باهظاً دفعته من شرفها عداً ونقداً ..

فكان لا بد من ان تزداد المآسي وتنتشر الفضائح وتنهار تلك الحصون التي بقيت معززة على الرغم من مخلفات الانتداب ..

فكم من سيدة بعيدة الشهرة ضبطت وهي تخبىء « جوكراً » في حضنها في اثناء لعبة « الرولانس » .

وكم من قاضٍ كبير ضبط وهو يلعب بستة أوراق في « البوكر » .. وكم من سيدة كريمة كانت تعود الى بيتها مع

نسمات الفجر ..او ربما بعد ذهاب اولادها الى المدرسة في الصباح؟؟ حتى ان احداهن ترك لها ولدها ذات صباح رسالة قبل ذهابه الى المدرسة يرجوها ان تعين له موعداً ليراها .. وقد يكون الشوق برّح به لرؤية والدته الحنون .. إذ ان انقطاعها عنه امتد اياماً بل اسابيع ..

وكم مرة شاهدنا في النادي زوجاً شهماً غلبه النعاس فترك النادي الى بيته ، بعد ان اوكل امر زوجته الى احد اصدقائه الشباب (ولمثل هذه الظروف خلق الاصدقاء ..) ليوصلها الى البيت في آخر الليل ..

لقد كان من الطبيعي ان تنهار الاخلاق وتفصم عرى الزوجية، وينتشر العقوق بين الآباء والاولاد .. بفضل هذه النوادي وحماتها الافذاذ ..

ووالله يا صاحبي ما فكرت يوماً في أمسي البعيد وكيف لازمت هذه النوادي إلا واستغفرت ربي الف مرة على ما كنت أفعل ..

كنت ادخل الى النادي عملاقاً واخرج في آخر الليل قزماً ...

كنت ادخل والآمال العذبة تهدهدني واخرج منها والانتحار أشهى رغباتي ...

ولئن كنت قد ادركت الخطأ فكففت عن ارتياد تلك النوادي ، فانما فعلت ذلك متأخراً جداً .. لقد تركت عادة القمار .. لقد انقذت نفسي من هذا الداء الوبيل ولكني صرت

لرتاد البيوت التي اتخذت من القمار وسيلة للعيش واكثر من العيش ...

وهذه البيوت كثيرة ، وهي منتشرة في كل مكان ، ولها انظمتها الخاصة ، وقوانينها التي تنفذ بدقة واصول .. لها سماسرتها ودعاتها من الجنسين ... لها حماتها من بعض النافذين يجعلونها امنع من العقاب . يدعوك احد اولئك الدعاة الى كأس من الخمر ، وصحن تبولة حيث يمكنك التمتع بالشكل الحسن ... ثم تنتقل الى « برتيتة » بوكر صغيرة للتسلية « وتقطيع الوقت » وتكون النتيجة انك تخرج من البيت وقد كلفك كأس الخمر المئات من الليرات ...

لقد لعبت مع شتى طبقات الناس .. خبرتهم جميعاً ...

الكبار والارستقراطيون والمسؤولون هؤلاء جميعاً دخلوا هذه البيوت وساقني الحظ الى اللعب معهم ...

ولقد تجلى لي في كل ذلك القول المأثور :

الطاولة كشافة الاخلاق .. بل هي المرآة التي تنعكس عليها اخلاق الناس وطبائعهم ..

لقد اعجبت بصدق الطبقات الصغيرة وعنفوانها ، كما تقززت نفسي من الذين يدعون بكبار القوم ...

كم مرة « كمشت » شخصيات بارزة تغش باللعب وتطبيق الورق ؟؟

وكم مرة ضبطت فيها كبيراً غافلنا ليسرق فيشة لا تزيد قيمتها عن الليرة ليضيفها الى ما يكون قد نهبه من الليرات...

ولصوص النوادي يزدادون عدداً مع الأيام.. وهؤلاء تصادفهم في كل مكان .. اناقة في اللباس .. خاتم في الأصبع يكاد يخطف بريقه البصر .. ربطة عنق لا يقل ثمنها عن الخمسين ليرة .. يضاف الى ذلك .. تهذيب في الحركات ، اناقة في الحديث ..

وقد يصبح المرابي الجشع صاحب نفوذ كبير في بعض الدوائر الرسمية بفضل النجدات المتوالية التي قد يكون قدمها للمسؤول الكبير عندما توالت عليه الخسائر في لعبة « الروليت » فينقلب المرابي اللص مسؤولاً والمسؤول لصاً كبيراً ..

تركت النوادي والبيوت ..

ولكني تعلقت بفن آخر لأشبع نهمي .. سباق الخيل . هذا السباق الذي اعتبره معمل الاجرام الأول في لبنان .

فقد أفسد الأخلاق ، وهدم البيوت واستباح المحرمات .

رأيت يا صاحبي موظفين محترمين في سباق الخيل ينقلبون الى شحاذين عاديين يستجدون « تعليمة » من جوكي ، او يسايرون سائس خيل طمعاً في الربح ..

قضاة نزهاء يتحولون من جراء السبق الى مرتزقة مرتشين..

كم من رجل عاد من سباق الخيل بعد ان خسر آخر فلس كان يحمله ، يروح لينسى همومه يطفىء آلامه في « شمة » كوكايين أو حقنة مورفين ؟؟..

كم مدمن على المراهنة في سباق الخيل سرق مالاً ليس له ، أو قتل ليؤمن زاده ليوم السباق الموعود ؟؟

وكم مرة أغراه الأمل في الربح ، ليعمل المستحيل

حتى لو كلفه ذلك قتل امرىء ليؤمن مالاً يراهن به على خيول السبق ؟ ؟

وهل احدثك يا صاحبي عما حدث لي يوم سبت .. إذ لم يكن معي ما أرميه في اليوم التالي في تلك البالوعة الرجسة ؟؟

لقد ذهبت الى قريتي وبعت سراً عن والدي بضعة قناطير من الزيت الفاخر الذي تنتجه أرضنا الطاهرة . بعت الرطـــل بست ليرات مع ان السعر كان مرتفعاً في ذلك الموسم والرطل يباع بعشر ليرات ..

حملت المبلغ الى « معمل الاجرام » الى السباق وقامرت به.. وعدت خالي الوفاض .

وما كنت لأحقر نفسي واعريها وانشر مثل هذه المخازي لولا انها تجري في كل اسبوع مع غيري من الناس وجلهم فقراء يحتاجون الى الليرة الواحدة ليعيلوا ذويهم التعساء .

كم موظف باع الراديو .. أو رهن ساعته في ميدان السباق ليقامر بالمال وكم فقير معوز دفعه الرهان ، والمقامرة في السباق الى الجريمة فالسجن او الاعدام ؟؟

أجل الجريمة .. وان معظم جرائم هذا البلد تعود اسبابهـا أو بعض اسبابها في رأيي الى القمار في النوادي وخصوصاً في سباق الخيل ..

سباق الخيل الذي خرب البيوت .. واستباح الاعراض حتى لم تستنكف بعض السيدات ان تبيع شرفهـــا لقاء تعليمة من جوكي ..

ومع ذلك يحدثونك عن تحسين نسل الخيول العربيـة .. مع انهم في الواقـع يقضون على النسل العربي اللبناني .. رجـالاً .. ونساء .. وجياداً ..

فيـا صاحبي .. في سباق الخيل هـذا .. وفي النوادي .. التي حدثتك عنها ، قضيت فترة الهدوء من حيـاتي التي عقبت حوادث تشرين ١٩٤٣ . وبطولات بشامون وراشيا ...

فيا لسخرية الأقدار ...

وانتهى حديث صاحبي .. ومضى ... أما أنا ، فلا اعرف هل ان صاحبي المجاهد قال لي كل شيء ؟؟

أم انه اخفى عني وعن الناس اشياء اخرى ؟

سأسأله ذلك في مرة قادمة فلعله يحدثني ...

لصوص اكثر!...

حدثني صاحبي قال :

تسألني عن اللصوصية في لبنان ، وعن سبب ازدهار سوقها ، ورواج بضائعها ، وانت تعجب لمرور الناس مرّ الكرام بها !!

انك ، ولا شك ، مخطيء ، بل أنت متحامل ، لأنك تغفل فئة هامة من اللصوص ، هي تلك التي تحتل الصدارة في الصالونات ، وتحاط بهالة من التكريم والتبجيل والاحترام ..

اللصوصية ، يا صاحبي ، فن ، وهو على أنواع !!

واللصوص ، بدورهم ، من أصناف متعددة !!

لصوص يسرقون أموال الدولة ، فهم ينهبون أموال الشعب !

ولصوص ينهبون الناس ، ويقطعون الطرقات ، وينشلون حقائب السيدات !!

لصوص يستبدلون قمح الفقير بطحين ممزوج بغبار الكلس ، ويعتدون على رغيف اللاجيء المشرد ، وقرش الفقير !!

لصوص يعسعسون في بطون الكتب ليتزودوا ببعض عبارات ونكات ، ينثرونها في المجتمع ، بمناسبة وبغير مناسبة !! . يبغون تصنيف أنفسهم بظرفاء ..

لصوص يبلعون « الكمبيالات » ليتخلصوا من دفعها عند

الاستحقاق !! ..

... إلا ان هـــذا النوع من اللصوص ليس مسؤولاً ، في نظري ، ولا يعد شيئاً إذا ما قيس بلصوص الصالونات ، موضوع حديثي اليوم !!

وبينما ترى اللصوص العاديين يقعون تحت طائـــلة القانون ، فتلاحقهم النيابة العامة ، ثم يساقون أمام المحاكم ليقضوا ، بعد ذلك ، سنوات في غياهب السجون .

إذ ترى لصوص الصـالونات يسعون مطمئنين ، ويحاطون بالاحترام ، دون ان ينالوا العقاب الذي يستحقون !!

... فيجب ، يا صاحبي ، إذن ، ان نبـدأ بتحرير مجتمعنا من هذا الصنف من اللصوص ، الذين يرهقون المواطنـــين ، ونسمي الأشياء بأسمائها ، ونكون صريحين في الحـق ، لا نرهب ولا نبالي !!

« نحن ، متى أصبحنا لا نخجل من الكشف عن أعمالهم ، كان لنا وطن ، وكانت لنا حياة ! »

لقد آن لنا أن ننزل اولئك اللصوص عن هذه العروش الوهمية ، التي تربعوا عليها ، ووصلوا اليها على سلم من الخداع والتضليـل ، وآن للاقلام ان تسلك دروب الصراحة ، وسيلة للكشف عن بعض ما تكنه النفوس ، والرؤوس !!

لص الصالون يا صاحبي . وقاك الله منه ، وأبعد عنك مصائبه .. رجل بطن نفسه بالرياء واللؤم والكذب ، يظهر غير ما يخفي ،

يبدي غير ما يضمر ، يدير لسانه لشتم الناس ، كل الناس .

فهو مع الحاضر حتى يغيب ، وضد الغائب حتى يحضر ..وهو ينجر لك « خازوقاً » حين يسحرك بنعومته !! .

وهو يسطو على البيوت الآمنة ، الطاهرة ، يثلم عفتها ويلوث سمعتها .. انه لا يدخل البيوت إلا من النافذة ، من السلم الخلفي ، من المطبخ ، من التلفون ..

له أسلوب فريد في اختيار ضحاياه .

فقد يتعرف ، في بادىء الأمر ، بأحد الناس ، فيظهر له كل ود .. ويحاول وسعه ان يتقرب اليه ، حتى اذا ما سنحت له الفرصة ، وتأكد من تغيب الزوج عن منزله ، هرع الى التلفون ، وراح يسأل بلهفة عن صاحب البيت ، ثم عن سيدة البيت ... ويبدأ حديثه عادة عن الصحة... والأحوال.. وتقلبات الطقس.. ثم يلقي ، فجأة ، بكلمة عابرة تكون بمثابة الطعم في السنارة ...

ويتشعب الحديث ... حتى ينطبق القول : « تلفون ، فسلام ، فحديث ، فموعد ، فلقاء ، ففضيحة ، فطلاق ... ثم خراب بيوت !! ... »

سكت صاحبي قليلاً ، واشعل سيكارته وقال :

روت لي احدى السيدات الظريفات قصة عن احد اولئك اللصوص ، وقد جاء الى بيتها ساعة غياب زوجها ...

استقبلته مرحبة ... ففاجأها بأطنان من الاعذار والتأسف لغياب صديقه ، زوجها ، ولإزعاجه حضرة السيدة بهذه الزيارة المفاجئة .

لكن السيدة طيبت خاطره ، ودعته لتناول فنجان قهوة ، حسب تقاليد الضيافة !!

فترجم لطفها وبشاشتها على انهما دليل استلطاف واستسلام ، مما أغراه الى تطويل أمد الزيارة .. ومعاودة القيام بها تكراراً في غياب زوجها .

والنتيجة المحتومة لتلك الزيارات كانت شائعات ضخمة كادت تقضي على سمعة السيدة ، وتزعزع دعائم بيتهـــا ، وتهدم منزل عائلتها .

ولهؤلاء اللصوص « مزايا » عديدة ، لعل أبرزهـا « تمسحة » جلودهم .

فقد تبلغ القحة بأحدهم ان يغافل الزوج، في احدى السهرات، « ليذبل » عينيـه للزوجة الحسناء ، وليتحفها بغمزة عابرة ، بشعة كبشاعته ... فتضطر السيدة الشريفة لأن تبدي ازدراءهـا وامتعاضها من صفاقته !.

لكنه ، وقد انقلب الى « تمساح » ، يتجاهل الأمر وكأنه لا يعنيـه في شيء ، ولا يبدو على وجهه أثر للحيـــاء لأن وجهه اكتسب صفة بكم « البلاطة » .

ان بـين الأحياء مخلوقات تشرفهم اذا سميتهم حشرات ، وتنصفهم اذا نعتّهم « بالعلقـات » .

ولا يقتصر الامر على امثال هـــذا التمساح ، بل يتعداه ، في احيان كثيرة ، الى فئة من النساء .

تدخل احـداهن الى البيوت المحصنة . لتغرر بالزوج . ثم

سرعان ما يقع الرجل في شراكها ، فينقلب الى سفاح ، يحاول قتل أم أولاده دهساً بسيارته ، لينعم بخيرات « عشيقته اللصة » ، سارقة الأزواج ، غير ملتفت الى عظيم جريمته ، وتبكيت ضميره .

وقد تحدث اللصوصية على صعيد عال ، وعال جداً !

يدعوك سفير ، أو ممثل دولة اجنبية ، الى عشاء رسمي أو خاص .. فتكتشف ، في نهاية المأدبة ، ان آلة للتسجيل قد استراحت في سلة للزهور ، تحصي عليك انفاسك ، وقد قامت بمهمتها على أتم وجه ، فسجلت كل ما تقيأ به المدعوون ، في تلك السهرة « الرفيعة » ، من احاديث بايخة .. وبعض الأحيان من اسرار كان من الواجب ان لا تفشى حفاظاً على مصلحة البلد .

وقد يصادف ، مثلاً ، ان تكون صاحب مركز مرموق ، وتتلقى تلفوناً في مكتبك ، أو في بيتك ، فإذا بأحد الذين يدعون صداقتك ، يخاطبك على الطرف الآخر بلهجة لا تخلو من القنزحة المتعمدة ، و « الحوش بوشية » الظاهرة ، فيناديك مثلاً بأسمك مصغراً .

لكم تمنيت ، يا صاحبي ، لو أتيح لنا ان يكون لدينا تلفونات « متلفزة » ، فتبصر محدثك اللص محاطاً بزائريه وهو يحدثك ، وقد أراد أن « يغنطهم » بإظهار مدى نفوذه عندك وتأثيره عليك ، أنت صاحب المركز المرموق !!

وهكذا ترى ، يا صاحبي ، ان لصوص الصالونات أغلبهم من الشرفاء الذين لا يخطر على بالك ، لا أنت ولا غيرك ، ان تعنيهم

وانت تتحدث عن اللصوصية .

فبينك وبينهم شراكة في تنسم هذا الجو الخاص ، الذي تحبه أنت وغيرك ، والذي يغطي كل قبيـــح ، ويجمل كل نقيصة ، والذي أسمه جو الصالونات .

"العلى فوقيون" أو سياسة قلب الثوب!

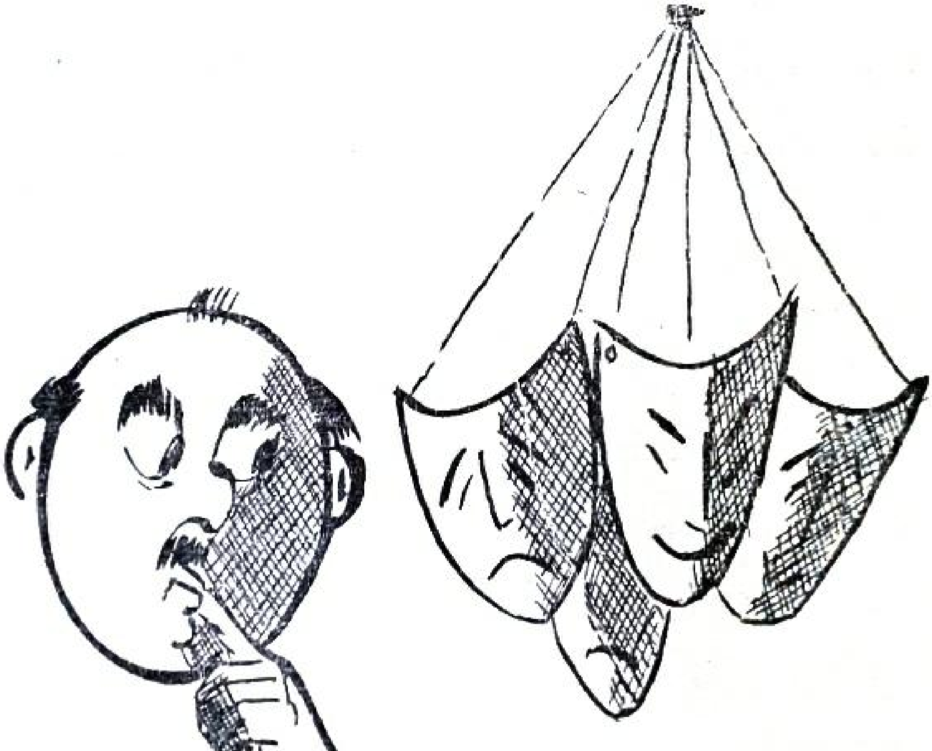

الطب ، في اختلاف فروعه وتعددها ، بلغ من التقدم مرحلة تكاد تكون المرحلة التي اوشكت ان تصل به الى المعجزات .

والجراحة هي بين فروع الطب ، أكثرها تقدماً ، وابعدها ايجابية في النتائج العجائبية .

ولقد نسجت حولها الاساطير ، بحيث يقف العقل عندها ، أو عند بعضها ، حائراً مدهوشاً ، يكاد لا يصدق ما يسمع .

من ذلك ، مثلاً ، انشئت في البلاد « السكندنافية » معاهد خاصة للتجميل ، تزيل تجعدات الوجه ، فتجعل العجوز الشمطاء صبية حسناء تحاكي قمر « ١٤ » .

وكثيراً ما يلجأ الناس ، الذين يجدون ان بعض اعضاء وجوههم بحاجة الى تبديل أو تزيين ، أو على الأقل مجرد عملية « روتوش » ، الى هذه المعاهد فيتحقق لهم ما يكونون قد ارادوا.

ولا يستبعد ان يأتي يوم يصبح فيه للأجسام « قطع غيار » كما هي الحال في السيارات ، فيستبدل الصديق نجيب حنكش ، مثلاً ، أنفه الشهير بأنف ماركة « صوفيا لورين » . ولا غرابة في ذلك ولا غضاضة ما دام التبديل ، والتغيير ، وطلب الأجمل من سنن الطبيعة وشرائعها .

أما المجرمون وذوو العاهات ، فيجدون في هذه المعاهد

والمؤسسات ، التي تغير وتبدل سحنهم رأساً على عقب ، ضالتهم المنشودة ، إذ سرعان ما يتحولون ، بعد ذلك ، الى اناس بين ماضيهم وحاضرهم هوة في الشكل . وان يكن ماضيهم وحاضرهم واحداً في الجوهر .

بعض الطيور تبدل ريشها في مواسم معينة من السنة ... والثعابين ، كما هو معروف ، تبدل قشرتها كل عام بقشرة أزهى وأكثر جدة .. لكننا في هذا البلد توصلنا ، كعادتنا في التقدمية، الى أبعد ما توصل اليه أي بلد آخر .

لقد استطعنا ان نغير جلودنا باتقان نحسد عليه ، فنلبس لكل حالة جلداً خاصاً وثوباً خاصاً ، فنجمع الصيف والشتاء على سطح واحد .. وبلغنا في هذا المضمار حداً لم يصل اليه شعب ، وأصبحت الاكثرية من رجالنا تفوق الحرباء مقدرة على التبديل والتغير والتلون .. حتى صارت حرابي البشر عندنا اكثر عدداً من حرابي الحقول .

والعجيب الغريب ان سياسة تبديل الجلد والثوب هذه لا تقتصر على فئة خاصة من الناس، بل شملت نعمتها مختلف الطبقات، من الكبير الى الصغير ، من السياسي الى الوجيه ، من الزعيم الى الازلام ، من الصحافي ، الى الشاعر ، الى الاديب ، الى الزوج والزوجة ، الى الحبيب والحبيبة .

فقد تكون مثلاً مدعواً الى سهرة ، فتسمع المديح ينهال عليك من كل جانب ، حتى اذا ما اعتذرت قبل انقضاء السهرة لتنصرف الى شأن لك ، وانصرفت ، فتح احدهم الموضوع وراح

يغدق عليك ، بغيابك ، ألواناً وألواناً من الذم البشع والانتقاد المرير .

وقد تكون أنت مضطراً الى زيارة شخص لا طاقة لـك في زيارته ، فتفعل ذلك على مضض ، وتدخل بيته ، ولكنك تخلـع على عتبة بيته ثوب الكراهية لترتدي ثوب التزلف ، مثلاً ، والرياء .

واطرف ما قيل بهذا الشأن اقتراح عرضه أحد الناس إذ قال: المرء عندنا يجب ان يقلع جلده ليعلقه حيث تعلـــق المعاطف والقبعات ، قبل ان يدخل الى الصالون ، ثم يرتدي « الجلد » الذي يجده مناسباً لتلك الساعة .

والسياسي الكبير تراه ذئباً أمام المستضعفين ، لكنه سرعان ما « يقلب ثوبه » ، فيرتدي ثوب « الحمل الوديـع » أمام من هو اكبر منه شأناً ، وارفع منصباً ، فينافق ما شاء له ثوب التزلف والنفاق .

يدخل على الكبير الكبير هادفاً مصلحة خاصة ، لكنه يستهل حديثه بالتغني بالمبادىء العامة ، ووجوب الاصـــلاح ، وفرض الهيبة ، واشاعة العدالة ،وإلغاء الطائفية، ومساعدة الفقير . وعندما ينتهي من سرد معزوفته وثرثراته يقف ليستأذن الكبير ويودعه . حتى إذا ما وصل الى الباب عاد وكأنه تذكر شيئاً فيقول : «على فوقه » . أرجو ان تحقق لي هذه المطالب التي كدت أنساها ، وأنا في زحمة الكلام عن الاصلاح . ثم يقدم فاتورة من مطالب خاصة له أطول من شهر الصوم . ويكون قد ضرب رقماً قياسياً

في سرعة تبديل ثوبه .. وجلده .

سمعت أحد الكبار ، وهو مشهور بظرفه وبصفاء معدنه ، يقول : لقد بت مقتنعاً بأن معظم الذين يتحدثون عن المصلحة العامة ، والوحدة الوطنية ، ومبادىء العدالة ، ينتهون دوماً بـ « على فوقه » « مفوترة » بمطاليب خاصة لهم ، على حساب الاصلاح الذي يدعون له .. هؤلاء « العلى فوقيون » هم أصل البلاء ، وهم وراء كل فساد وانقسام في الوطن .

يقابلونك وقد لبسوا ثوب المصلحين ، مستهلين الحديث بأعلان « افلاطونيتهم » فهم ما قصدوك إلا لاسباب ثلاثة .. مثلاً :

أولاً : سؤال الخاطر والاطمئنان عن صحتك الغالية .

ثانياً : عرض خدماتهم للمساهمة في خلاص البلاد من الفوضى الاخلاقية ، والسياسية ، والطائفية (وهم لكثرة ما كرروا معزوفتهم اكتسبوا فصاحة الكلام ، وقبلاً قلنا ان افصح القوم اكذبهم ..)

واخيراً تتدحرج من فمهم كلمة على « فوقه » .. ويظهرون بعدها بثوبهم الحقيقي ، ثوب الشهوة والأنانية .. فيطلبون تحقيق مآربهم ومصالحهم وقد ظنوا أنهم اسكروك بالتحدث عن المثل العليا .

ولعل أجمل واصدق عبارة ، يمكن لنا ان نصورهم بها ، كلمة قالها من نحني الرأس لنزاهته وحكمته :

« انني ، عندما استقبل احد هؤلاء ، اطلب منهم ان يبدأوا حديثهم بالمطلب الثالث » اي بالـ « على فوقه .. »

وبعض السياسيين يؤمنون بالشعار المعروف الذي يقول : ان السياسي الناجح هو الذي يكون دائماً مع « الواقف » وعليه ان يحضر دائماً ثوباً رديفاً له لاستعماله عند الحاجة ..

ولن انسى ذاك السياسي الكبير ، الذي ضرب الحائط برأسه وأغمي عليه ، يوم استقال الرئيس الأسبق الشيخ بشاره الخوري . وبعد ايام قليلة رأيته في بيت الرئيس الجديد،خصم بشاره الخوري اللدود ، يستقبل المهنئين وابتسامة الظفر على وجهه ، وكأنه من أهل البيت .

لقد قلب صاحبنا ثوبه بسرعة يحسد عليها ! لكن الثوب الجديد ما زال « مرقوعاً »،وستبقى الرقعة عالقة فيه ، مهما حاول اخفاءها .

وقد تقرأ لمفكر كبير،أحاط نفسه بهالة من الجبروت والعمق والجدية ، يطالعك كل صباح بمواعظ يحاول فيها رفع « العامة » ، مثلي ومثلك ، الى مستواه الرفيع .

ثم تفاجأ بهذا المخلوق وقد قلع ثوبه وهو يعسعس ببعض زوايا الدوائر ، يبغي « نفوذاً » أو مطلباً يؤمن له رئاسة في مستقبل الأيام . فيظهر حقيقته وبشاعته وسخافته .

وقد تزور أحد رجال الفكر من الموجهين ، فتكتشف بنهاية الزيارة ان صاحبنا قد صدّر المكان بصورة لكبير نافذ في هذه الأيام ، وخلف الصورة رسم لكبير آخر زال نفوذه ، وأفل نجمه .

وقد يسكرك خطاب مصلح اجتماعي ، بعد موجة من المواعظ

الداعية للالفة والتآخي ، لكنه ينقلب ،بعد مدة ، الى تاجر يبيع أخطر أنواع السموم الطائفية عند حدوث أول أزمة طائفية.

ولا أزال أذكر شاعراً جاء يمدح مسؤولاً فاز بمنصب كبير ، ويظهر ان القصيدة كانت معدة لخصم المسؤول الذي كان له حظ أكبر بتولي المنصب.. ولحكمة خارجة عن ادراكنا أخطأ الشاعر ، ولفظ اسم الفاشل عوضاً عن الناجح.. وانكشفت مثاليته ،وتمنيت في تلك اللحظة ان لا أكون في جلده .

وهناك رجل تبدلت جميع العهود ، وذهب الكثيرون معها ، لكن نفوذه لم يتأثر ولم يتبدل ،فهو هو القدير الكبير ،نعم بالخيرات على اختلاف العملات .. لو سألته عن سر نبوغه وعبقريته لأجابك ولسان حاله يقول : انني كنت أحسن تبديل ثوبي ، لانني كنت لا اخدم عهداً أو شخصاً ، بل اكتفيت بخدمة نفسي .

لقد استشرى داء قلب الثوب وتبديل الجلد ، حتى عم معظم طبقات الناس ، حتى اصبح الواحد منهم يبدل ثوبه ومبادئه بالسهولة نفسها التي تبدل فيها الحسناء ثيابها وحذاءها .

ان تبديل الطيور ريشها .. والحيّة قشرتها.. والمجرم وجهه.. والعجوز تجاعيد وجهها . قد يحدث مرة في العام ، أو في العمر ، وهو أمر مستحسن في الحيوان .. وقد يكون ضرورياً للمجرم..

لكنه يبدو مستهجناً عندما يكون التبديل متناولاً المبادىء والضمائر والاخلاق ..

وهذا شر أنواع التبديل .

العصا السحرية؟

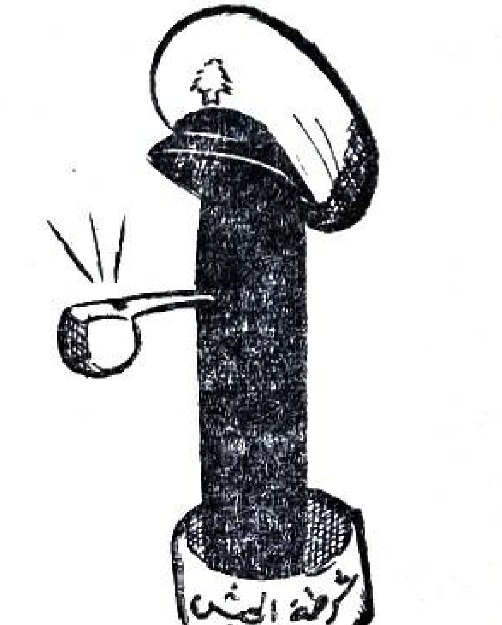

قلت لنفسي وانا أطل من نافذتي في وزارة الدفاع الوطني على الطريق : هذا شرطي مدني وذاك شرطي جيش، يرفع الأول عصاه الضخمة يشير بها للسيارات فلا يلتفت السائق الى هذه الاشارة ولا يحفل بالعصا ، وتبقى فوضى السير على ما هي ، حتى اذا رفع الثاني يده أو اشار بعصا اقل منها ضخامة انصاع السائق للاشارة وانتظم السير وساد الشارع جو النظام والانضباط .

قلت لنفسي ترى ما هو السر الذي يجعل من هذا اللبناني مطاعاً نافذ الطلب ؟ ويجعل من الآخر وقد يفوقه زياً وعافية غير مطاع وغير نافذ الطلب ؟ ؟

وسرعان ما قادتني خواطري الى استعراض كل من وراء الشرطي المدني وكل ما وراءه ثم استعراض كل من وراء شرطي الجيش وكل ما وراءه وشعرت ان السر قد انكشف لي .

ان السائق يشعر امام عصا شرطي السير انه امام سلسلة من الوساطات التي اوقفت هذا اللبناني في المكان الذي يقف فيه، ويشعر انه أمام اسلوب معين في التعيين وفي الترقية وفي النقل وفي تنفيذ القانون وفي التسوية وفي التغاضي . في حين يشعر السائق امام عصا شرطي الجيش انه امام لبناني يمثل هيبة القانون والانضباط والمسلكية والصرامة المجردة . هو يعرف ان الذي عين الشرطي

المدني هو نفسه الذي يستطيع السائق ان يعود اليه ليلغي له العقوبة التي يفرضها عليه هذا الشرطي . ويعرف من جهة ثانية ان الذي عين شرطي الجيش ورسم له معالم مهمته هو القانون الذي لا يستطيع ان يستند اليه السائق الا اذا كان على حق .

ومن هنا رأينا مواطناً ينفذ الشيء نفسه اذا ما طلبه منه شرطي الجيش ولا ينفذه اذا طلبه منه شرطي السير .

ليس الخوف هو الذي يملي على اللبناني العادي تصرفه .. فليس في ضبط عادي بسيط القيمة ما يخيفه ، وقد يكون شرطي الجيش ارحم من غيره في بعض الحالات .

وانما الذي املى على المواطن موقفه هو فكرة السلطـــة التي تحترم نفسها فيحترمها المواطن .

كثيرون يقولون ان اللبناني فوضوي ، ان اللبناني لا يحب القانون . ان اللبناني لا يمكن ان ينضبط ، لا يمكن ان يحكم .

ولكن لهؤلاء ، علمني مشهد شرطي الجيش وشرطي السير ان اقول :

هل جربتم ان تحكموا اللبنانيين بعدل وتجرد فلم ينضبطوا ؟ ولم يطيعوا ؟؟

هل جربتم ان تطبقوا القانون كما يجب ان يطبق ففشل هذا التطبيق ؟؟

انني ازعم ان القانون لم يجرب حكمه بعد في لبنان ليقال ان اللبناني يخضع للقانون او لا يخضع .

حكم القانون ــ تلك تجربة لم يعرفها لبنان بالشكل المثالي

الذي يخولنا ان نحكم لمبناني انه ضد القانون او مع القانون .

انني بنتيجة اختباري المتواضع في وزارة الدفاع اميل بل اجزم بأن اللبناني من اكثر شعوب العالم حباً للقانون واستعداداً للتمسك به وغيرة على التقيد الكامل به . شرط ان يكون القانون مرادفاً للحق والعدالة والمساواة .

سل اي قائد من قادة الجيش او مسؤول فيه تراه يحدثك عن فضائل اللبنانيين .

وسل أي سياسي عن ساسة لبنان وأي متزعم يحدثك بتطويل اكثر عن رذائل اللبنانيين .

ما هو السبب ??

السبب هو ان الأول قد كوّن فكرته في البيئة التي يظهر فيها القانون على انه السيد المطاع . في حين ان الثاني قد كوّن فكرته في البيئة التي تصول فيها وتجول المناورات والتسويات والمكائد في معزل عن القانون .

من أقوال سولون الحكيم اليوناني الشهير : ان القوانين أحفظ للمدينة من أسوارها . وإذا كان الجيش في كل بلد من بلدان الدنيا هو الأسوار التي تحميه فإنه في لبنان الأسوار والقوانين معاً .

وان أنس فلا أنسى خطبة ألقاها فخامة الرئيس في المدرسة العسكرية وقال فيها :

« ان خير ما قدمه الجيش للبنان ليس تضحياته فحسب وانما فكرة الولاء للقانون والانضباط ، هذه الفكرة التي يجب ان يعرف الجيش كيف يشيعها بين اللبنانيين أجمعين . »

ان وراء العصا التي ترتفع فيطيعها كل الناس. وتلك التي ترتفع فلا يطيعها احد من الناس وراء هذه وتلك تكمن أخطر قصة – في لبنان (قصة القانون الذي ينفذ والذي لا ينفذ)

قصة من ينفذون القانون ومن لا ينفذون القانون.

قصة اللبناني الذي قيل عنه ظلماً وعدواناً انه لم يخلق لطاعة القانون في حين انه حيث تتوفر له عناصر معينة أطوع الطائعين.

حذار من الدوخة!

داخ ، يدوخ ، افتح القاموس والحقني .

الرجل اصابه دوار ، وبالعربي المبلطح فهو دايخ . والدوار هو شبه دوران يصيب الرأس وتعرفه العامة بقولها ، دوخة » أو فلان ركبته الدوخة .

إذن فالدوخة هي فقدان التوازن ، بحيث ان المصاب بها ، يفقد توازنه ، فيترنح يميناً وشمالاً ، وقد يقع أرضاً اذا لم ينجده حائط يستند اليه . وقد حدد الطب ، قديمه وحديثه ، للدوخة اسباباً وعوارض كثيرة ، منها ما هو سهل العلاج ومنها ما وقف العلم دون ادراكه .

ولقد اضطررت منذ سنة الى اجراء عملية جراحية في انفي . واصبت بنزيف شديد فلازمتني دوخة فقدت معها توازني، وصرت « اهذرم » بكلمات لا معنى لها .

واكتشف الاطباء بعد هذه الحادثة ان سبب الدوخة كان ارتفاعاً مفاجئاً للضغط أثر على أذني ، وهي العضو الحساس الذي يحفظ توازن الجسم ، فكان ان اجبرت على اتباع « ريجيم قاس » لتنزيل الضغط وللخلاص من الدوخة .

والدوخة من أي نوع كانت والى أي صنف تنتمي تبقى مجرد دوخة ، وهي مرض مزعج ثقيل الظل كشبح رجل الجمرك بعيني

مهرب الدخان أو « كتبويزة » مالك البيت عندما يفاجئك في الصباح بطلب الايجار .

قد تصيب المسافر في عرض البحر ، أو في اجواء السماء أو في السيارة فيفقد لذة السفر ومتعة الرحلة .

والرجل عندما يشرب الخمرة بكثرة يدوخ بعد ان يكون السكر قد تعتعه ، ثم سرعان ما يقوم بأعمال يخجل منها ساعة يستعيد ذكراها عند يقظته ، واقبح ما في السكرة « فوقتها المنكرة » ، وقديماً قيل : « لا تنس ما قاله لك سكران وقت دوخته » .

وهناك دوخة مستحبة تلك التي يتعمدها الانسان ليعيش في جو أراده هو ، كالشاعر الذي يدوخ نفسه ، يهيم بمحض ارادته ويستريح في غيبوبة يسميها « حالة اللا وعي » فتفيض قريحته وتتفجر بأصدق الشعر أو أكذبه ، فالأمر سيان عنده ، فتكون الدوخة هنا رائعة مستحبة خصوصاً اذا كانت بدون تكلف .

وقد تشعر بلذة الدوخة فيما انت تدخن اركيلة أو سيجارة مع فنجان القهوة في ساعة من ساعات الغروب الممتعة ، وانت تتأمل البحر وجماله... ولعل اصدق الدوخات واروعها هي دوخة الصوفي الزاهد الذي يحاول ترويض نفسه وتدويخها ليستطيع ادراك القوة الخفية في العالم والاتصال بالله والروح عن طريق الوجدان .

فلقد توصل بعض الزهاد من اجاويد الدروز الى اكتشافات روحانية ليست من نوع ما يكتشف بالمنطق أو بالعقل ، وانما هي

من نوع ارقى ولا مجال لتفصيلها في هذا المقــام ، وعند حصول الدوخة يغيب الزاهد عن العــالم الخارجي ويشعر انه فوقه حتى يصبح في شوق للاتصال بالله ثم يرى الله في كل شيء وفي نفسه ، فيدرك سر الحياة واهدافها .

وآخر ما توصل اليه الفن في اعدام المجرمين وضع المحكوم عليه في غرفة مقفلة ملأى بأعطر أنواع الزهور ، فيموت دائخاً . ولعلها أحلى الميتات .

عفوك ان اطلت فتحسب ان موضوع المقال طبي وهو ليس كذلـك .

* * *

فإلى جانب الدوخة الجسدية الفزيولوجية تكاثرت الدوخات النفسانية البسيكولوجيـة .

واذا كانت الدوخة الاولى تحتاج الى طبيب وعقاقير، فالدوخة الثانية يلزمها نفساني أو طبيب اخصائي بالأمراض العقلية .

وخسائر الدوخـة الجسدية محدودة تكاد لا تفتك إلا بالمريض وحده ولا تعدي سواه .

أما الدوخة الثانية التي احاول وصفها اليوم فإنهـا اشد سوءاً وأكثر خطراً لأنها لا تكتفي بالمريض فحسب بل انها تعطب من يحيط به حتى تعم المجتمع بأسره .. فهي تضر بصاحبهـا وتؤذي جميع الناس حتى اصبحت اليوم من الاوبئة المستشرية في لبنان السريعة العدوى . فبهرجة المدينـة تخطت اسوارها حتى وصلت الى القرى الآمنة الهادئة ودوخت الفلاح الذي هجر حقله و كسر

معوله فسحق نفسه الكلوروفورمية والنعوت التي اطلقناهـا على بعض الأدبـاء المحلقين كالشعراء الفحـول فسقطوا صرعى « بكلوروفورم » المديح حتى انقلبوا الى مقـلدين بينهم وبين الأدب والشعر الخلاقين هوة ... واصبح الواحـد منهم يرصف الكلام بطريقـة سمجة ويبتكر الأوزان ويتزيا بألف زي من غموض وغرابة وابهام وكأنه لا يفهم مـا يقول ، أو يتعمد فيما يقول ان لا يفهم الناس فهو ابداً مسترسل بدوخة الوهم .

امتدح واحداً من الناس ترى الغرور قد تملكه فنام على حرير المجد وأودى بعبقريته وبما كان يرجى له من مستقبل .

ولن أنسى ذلك المسؤول المغرور الذي ارتفع بغفلة من الزمن الى مركز مرموق فداخ بمنصبه الجديد (لأنـه أوضع من ذلك المنصب) واستعار مشية وصوتاً ليسأله .. وسرعان ما ظهرت عليه اعراض الدوخة،دوخة العظمة الفارغة مقرونة بالجهل الفاضح، والمسكنة المهترئة وأخذ ينظر الى الناس بمنظـار مقلوب فيفسر لطفهم خضوعاً وتهذيبهم خنوعاً .

كم نائب مرموق ووجيه مستوزر فقد توازنه عند نشوب أول أزمة وزارية واصبح كعصفور أصيب بخردقـة في رأسه ، يدور ويدور وقد انتابته دوخة الأمل فهام على وجهـه يطرق الأبواب ويحبر المقالات الواعظة عله يظفر بمقعد وزاري ثم لم يلبث بعد ان استعاد توازنه وصحا من تأثير دوخته ، ان ندم على مـا قام به من صغائر ولات ساعة مندم .

كم رجل قلب ثوبه وغيّر المبادىء المثالية التي كان ينادي بها ،

عندما تسلم مسؤولية هامة وداخ بمظاهرها وبهرجاتها وسكر بعزها الزائف ؟؟

لقد كان من عـــادة الرومان القدماء إذا انتصر قائد ان يكرموه ، فيركبوا جندياً خلف عربته يقول له وسط هتاف الجماهير :

« حاذر ان تسقط »

أوليس القائد الشجاع هو الذي يتمكن في المعركة من ان يحفظ رأسه عندما يفقد من حواليه رؤوسهم ؟؟

أوليس العاقل الحكيم هو من استطـــاع ان « لا يدوخ » في حالتي النعيم والبؤس ؟ وحافظ على توازنه واتزانه وما اسكرته لذة الانتصار ولا حطمت اعصابه خيبة الفشل ؟؟

لقد أصابتنا الدوخة افراداً ومجموعاً . دخنا في اشعاعنـــا حين كدنا نعيش في ظلام ..

دخنا في نسيم بلادنا حتى كاد المازوت يخنقنا ..

سكرنا ودخنا في صفاء مائنا وتغزلنـا بشلالاتنا وكدنا نقضي العمر في ظمأ .

وبدلاً من ان نجني من اشعاعنا ومياهنـــا ومناظرنا الخلابة ونسيمنا العليل ثروة ومالاً كما تفعل الأمم الراقية، ربحنا جعجعة ، وكلاماً فارغاً .

مسكينة هي الأمة التي تصيبها الدوخة ، فتسكر من «زبيبة» وحبذا لو وفق العلم الى اكتشاف لقـــاح ضد « الدوخة » دوخة الغرور والعظمة الفارغة لأصبح كالقطع النادر وزاد في ازدهـــار

الثروة في لبنان .

ولعل المسؤولين عن الاصلاح يعمدون فيما هم يبحثون عن تحسين شؤون الادارة في لبنان الى سن قانون يوجب على المرشحين لتسلم المراكز الحساسة في الدولة ان يجتازوا امتحاناً تختبر فيه مناعتهم ضد الدوخة ، كما يحصل للمرشحين لدخول مدرسة الطيران .

أراني قد أطلت التحدث عن « الدوخة » واسترسلت في سرد عوارضها وحالاتها ونتائجها ، حتى بدأت أحس بدوار في رأسي وقاكم الله ووقانا شر الدوخة والدائخين .

الغزو المرعب !

عتب علي رفيقي في الدراسة وهي أحلى ايام العمر قائلًا :

أراك لبست التشاؤم رداء في كل ما تكتب ، وقد عهدتك كما عهدك الناس ، متفائلًا تبسم للحياة ولا تنظر إلا من زاويتها الضاحكة المشرقة ..

ترى .. هل بلغ بك اليأس من مجتمعك حداً ، اصبحت معه تتنكر لكل شيء ، حتى لجمال الطبيعة السخية ، وما خلعته على بلادك من مفاتن وبهجات لا تعرف أين تكمن ، ومن أي معدن قدت ؟

أم تراك ، وقد جاوزت حد الأربعين ، فتحولت الى ما انت فيه ، رجلًا ينظر بالمجهر الأسود ، ولا يرى إلا من الثقب المصغر .

قلت : لا يا صاحبي .. انني قيدت نفسي وحكمت عليها حكما أبدياً بأن لا أسلك في دروب الحياة إلا المسلك الذي أحبه ، فلن أكون ملحداً يتقمص ثوب المؤمن ، أو مذنباً يقرأ بصوت مؤمن . فأنا أكره هذا المسلك وبصورة أوضح ، « هالطريق مش لها المكاري » ..

انني أشعر بأن الحياة كانت سخية عليّ ، بالاختبارات التي كانت على كثرتها المؤلمة غنية ومفيدة .

واني مؤمن ايماناً راسخاً بأن نظرة الناس الى الأديب اليوم تختلف عنها بالأمس ، وتقديرهم له هو غيره عما كان بالأمس .

كان الناس في الماضي يعجبون « بالعالم العلامة والحبر الفهامة » ، بالأديب صاحب الأسلوب الفخم ، الذي يعتمد على البديع والبيان ويقرع أجراس السجع في نهاية عباراته المزينة بكل صنف من الاستعارات والتشابيه الغريبة .

أما اليوم ، فإنهم يبنون تقديرهم لرجل الفكر الأديب على ما أنتج لأمته : وما استطاع ان ينير في أدبه من دروب مظلمة موحشة ، وكيف حاول صادقاً ان يهدي الناس الى الخير والجمال. وإلى أي حد رفع صوته ضد الطغيان والطغاة ، وضد الفساد والفاسدين . والى أي مدى أخذ جانب الاصلاح وقاوم الاعوجاج ، وطالب بتحقيق العدالة وجاهر بالحق ولو كان مؤلماً .

وأروع الأدب يا صاحبي هو ما جاء معبراً ببساطة وصدق عن أحوال الناس والمجتمع الذي يعيشون فيه . ولا أخالك تنكر اننا في لبنان اليوم مواجهون اخطاراً أكيدة كبيرة قد تؤدي الى نتائج وخيمة ، إذا لم تهب الاقلام الخيّرة للكشف عنها ، وإزاحة الستار عن اسبابها السوداء ، وإذا لم نفعل نحن ، نكون قد خفرنا العهد ، ونكثنا بالرسالة التي اخذناها على عاتقنا يوم دعونا انفسنا للعمل الذي نقوم به .

وبدون هذا الشعور بالتشاؤم ، وبدون مواجهة الحقائق المؤلمة وتعليل اسبابها ، يصعب علينا ان نصل الى الشاطىء الأمين ، وأن ندرك الغاية ، ونغني بهذا البلد الصغير العظيم ، البلد الذي نحب ونمجد ،

الى المكانة التي يجب ان يرتفع اليها ، محاولين ان نوقظ ابنـاءه من غفلتهم ، فيعيش لبنان بلداً سليماً خالداً ..

ولبنان يا صاحبي،بموقعه الستراتيجي الممتاز (بلغة العسكريين) تعرض منذ فجر التاريخ لغزوات عديدة ومختلفة :

عرف الغزاة الفاتحين .

والمبشرين الغزاة .

وغزوات الطبيعة .

وغزوات المدنيات والتقاليد .

وغزوات الجراد .

غير ان لبنـان لحسن الحظ ،وكأن القدر قد صانه « بتعويذة أو حجاب » Tabou بفضلها نجا من شر تلك الغزوات .

... فما من غاز أو فاتح نزل أرضه إلا وانقرضت دولتـه ، الكنعانيون (الآراميون) ، والفلسطينيون ، والعبرانيون ، والفينيقيون ، والاغريقيون ، والرومـانيون ، والعثمانيون ، والفرنسيون ، كل تلك الشعوب غزت لبنان ولوثت أرضه ولكن « الحجـاب والتعويذة » تكفلتا بهزيمتهم وبتحطيم معـالم مدنيتهم (لعـل الحجاب يصبح اسطورة جديدة قـد تتغلب على اسطورة الإشعاع) .

... على ان اخطر تلك الغزوات وأشدها فتكاً ، الغزوة التي تعنينا اليوم ، فقد كشفت سر الحجاب ، وفكت كنه «التعويذة» واخترقت حصانة لبنان أو كادت ، وتمركزت في مواقعـه حتى بدأت شباكها تلتف حول اعناق ابنائه وتشدها فتـكاد تخنقهم ..

غزانا الاجنبي ببعثاته التبشيرية والثقافية ، فخلق في صفوفنا التعصب الطائفي القاتل ، وغذاه بما نشره من تعاليم « بخ » فيها سمومه وتسببت عنها مجازر عام ١٨٦٠ وفتنة ١٩٥٨ لكننا نجونا من الاولى بفضل الحجاب التقليدي ، واجتزنا الفتنة الثانية بفضل نبل شعبنا وطيب عنصره ، وبفضل حكمة بعض القادة الذين كانوا الصخرة الصامدة، ما مالوا لفئة على حساب فئة ، فقتلوا الفتنة في مهدها وانقذوا البلاد من المجزرة التي هيئت لها .

وغزانا الأدب الاجنبي الوجودي Existencialiste حتى كاد يصبح وباء يفتك بالناشئة ، واصبحنا بفضله نصطدم بمناظر مؤذية في المقاهي والصالات .

أدباء .. أو هكذا يلقبون انفسهم . يرخون لحاهم ويطيلون شعورهم وأظافرهم ، « ويصفرون » وجوههم ثم يتقيأون ادباً . يكشف عن نفسيتهم المريضة واهدافهم السوداء أدباً أقرب ان يكون دعوة الى الهدم والاباحية والانحطاط منه ان يكون نداء من نداءات البناء والاخلاق والسمو .

بضاعة راجت اسواقها الى حين ، واقلقت المخلصين : حتى ان فرنسا نفسها ، مصدر الأدب الوجودي وينبوعه تنبهت الى خطر ذلك النوع من الأدب وقامت بحملة تنظيف ، هادفة انقاذ الجيل الطالع ، واقفلت جميع « الأقبية » أو القاذورات الوجودية .

أما نحن فقد تحول بعض ادبائنا الى هواة استيراد المخلفات أو البضاعة « السكوند هاند » Second Hand ، فما زالوا يصرون على العيش في الأقبية الوجودية القذرة ، ويقتاتون من أدب

المعلبات أو الكونسرف .

لقد كانت باريس امنع من عش النسر عندما غزاها الالمان في عام ١٩٣٩ واحتلوها عسكرياً ، كانوا قد مهدوا لغزوتهم العسكرية بغزوة روحية وفكرية .. فأمطروا باريس سواحاً يحملون دعوات ونشرات ومبادىء قتلت في نفوس الافرنسيين روح القتال والتضحية والاستبسال ، وحببت اليهم حياة الركود والملذات .

هكذا « داخ » الشعب الفرنسي « بكلوروفورم » الدعايات الالمانية ولم يصمد ، وهو المشهور بتاريخه العسكري المجيد، اكثر من ساعات امام زحف الجيش الالماني « الغازي » .

ولعل اخطر انواع الغزوات التي حلت ببلادنا اليوم هي الافلام السينمائية التي جعلت من بعض أبناء الجيل الجديد الطالع ، ولا سيما بعض الطلبة الجامعيين المراهقين ، قطاع طرق عاديين ، يسطون على المحلات التجارية مقلدين بذلك مجرمي الشاشة البيضاء الممثلين... (ولن افصل في هذا فقد أفاضت الصحف وبعض المسؤولين بالكلام عن هذا الموضوع) .

ان داء السينما هوى بالفتيان والفتيات الى حضيض الرذيلة والاجرام . حببت اليهم هذه الحياة ، فكانت خطوتهم الاولى تعرفاً الى الرذيلة وشوقاً الى الاجرام ، وستكون خطوتهم الثانية انجرافهم الى الاثم فلا يعرفوا بعده سبيلاً الى الخلاص .

ان الكثير من الافلام هي قبور للفضيلة ، حتى غدا بعض شبابنا وشاباتنا اكثر ميوعة من الماء، تنعكس على وجوههم جميع

الألوان والأشكال ، يعرضون انفسهم على ابواب السينما كما يعرض البقال التفاح والموز في واجهة حانوته. وبات لكل منهم الإله الذي يعبده ، ممثلة يهيم بها ويذوب غراماً ، فصورتها ابداً معلقة في غرفة نومه ، فوق سريره ، على مكتبه ، في جيبه ، بين طيات كتابه . واصبح لكل فتاة ممثلها الأحب فتى احلامها واميرها الجميل ، صورته في صدرها تحرص عليها حرصها على حياتها .

الشاب يقلد الممثل في مشيته ، في صفيره ، في طريقة تصفيف شعره ، وترفيع حاجبيه « وَسَن » شاربيه ، حتى أن شاباً قد اعجب بالممثل « سيزار روميرو » كان يطلب الى حلاقه وخياطه و كندرجيه تكرار الذهاب لمشاهدة افلام الممثل واستيعاب موضة قص شعره ، وتفصيلة جاكيتته ، وتبويزة حذائه .

وأصبح شاربا دوغلاس فيربانكس يصيفان فوق شفاه الكثيرين من شباب اليوم ، ويشتيان تحت انوف الكثيرين .

صلعة « يول برينر » أضاءت كثيراً من الرؤوس وخربت بيوت الحلاقين .

وعندما ظهرت انغريد برغمان في دور جان دارك مضفرة شعرها بطريقة جديدة غصت نوادينا وشوارعنا بمقلداتها . وكم سيدة ادخلت رأسها بملء ارادتها تحت «طنجرة» الحلاق الساخنة لتكوي شعرها فيغلي رأسها في الطنجرة ساعات ومخيلتها عالقة ابداً بشراشيب شعر جينا لولوبريجيدا .. في حين انها تتململ من الوقوف لحظة امام طنجرة « البريستو » في مطبخها .

كم سيدة بلغ بها هوس التعلق بإحدى الممثلات ، فصبغت

شعرها باللون « الأصفر » واصبحت لا تعرف الا ببريجيت باردو (ب — ب) بلدها ؟ ؟

وبعض المراهقـــات ارتدين الجوارب الحمراء أو السوداء أو الصفراء التي رأينها في السينما !!

بعض فتياننا يقلدون رعـــاة البقر «الكوبوي» في مشيتهم ، وينفثون دخان سيكارتهم حلقات حلقات كفقاقيع الصابون . واذا ما تحدثوا اطبقوا افواههم ، وسمعت صرير اسنانهم فتخرج الكلمات (اذا قدر لها ان تخرج) متقطعة ، مبهمة ، شأن رجال عصابات التكساس عندما « يزعقون » في الفيلم .

وجيمس دين..من لا يعرفـــه . فقد لبست بعض المراهقات الثياب السوداء بعد موته حداداً عليه .

واليزابيت تايلور « ليز » كما يقولون عندمـا دخلت المستشفى للمعالجة لم يبق دير ولا معبـــد ولا قديس أو ولي ، إلا نـذره المعجبون وتشفع لديه المتيمون ضارعين الى الله ان يسبغ على الممثلة العزيزة ثوب الشفاء والعافية .

لقد أثرت السينما تأثيراً سيئـاً على ناشئتنا حتى اصبـح معظم الشباب يعطفون على الممثل الذي يلعب دور المجرم ، ويعجبون به ويحقدون على الممثل الذي يقوم بدور رجل الأمن مثلاً،ويستثقلون دمه الى درجة ان الهوس بلغ بأحدهم مرة عندما شاهد على الشاشة رجل الأمن يكاد يفاجىء المجرم ويقبض عليه ان صرخ بأعلى صوته: أوعا ، وراك ، دير بالك يا « ديك » وراك البوليس .

وكم معركة نشبت في قاعات السينما وتطورت وكادت تنتقل الى

الشارع لا لسبب إلا لانقسام الجمهور المشاهد الى فريقين ، واحد يصفق لخروتشيف وآخر يصفر له .

قد يحسب الكثيرون انني ارتدي ثوب الواعظ فبدا ما أقوله لهم وعظاً يمقتونه . لا ، ولكن الخطر ، خطر الغزو المداهم الذي يهدد النشء الجديد هو الذي يحفزنا الى مد يدنا لهؤلاء الألوف الألوف من الشبان والشابات لينقذوا انفسهم من هذا المرض . ومن حقهم على الدولة ان تيسر لهم اسباب العمل ، ومجالات اللهو المفيد .

لهم على الدولة حق المواطن الحر في البلد الحر ، فلتحسب الدولة لهم حساباً إذا كانت تعترف بحقهم في الحياة الكريمة. أما ان تتركهم في غيهم وانحرافهم عن واقع بلادهم وتقاليدها ، فإننا بذلك نعرضهم إلى اسوأ العواقب وأوخم النتائج .

اننا اليوم بحاجة إلى العصا السحرية ، تعيد الينا القطيع الذي شرد ، هذا القطيع الذي يكبر مع الزمن ، وتزيده الأيام تمرساً على المتاعب . وسنتولى في فصول مقبلة وصف العلاج الناجع لهذا الوباء المداهم .

متى يتحسس الأدب واقعنا

تحققت هذا الاسبوع ان فضيلة التواضع في نفسي في حاجة الى عناية خاصة ورعاية دقيقة . وتأكد لي اننا ظلمنا كثيراً المرأة حين نسبنا اليها فيما نسبنا من عيوب انها تميل الى المديح والثناء .

وان النشوة التي اخذتني بعد سماعي عبارات المديح التي كالها لي بعض القراء الأعزاء ، فاستزدتهم ، إمعاناً في الاستمتاع بالثناء ، لهي خير دليل على كوننا نحن الرجال لا النساء في معظم الاحيان ، لا شيء يهزنا « ويغرنا » كالثناء علينا .

غير ان البعض ، كتب الي مستنكراً تمجيدي الأدب الموجّه، واستسخافي الأدب المرفّه ..

فالى الذين اثنوا علي اقول بتواضع (غير مبطن) انه اذا كان هناك ما يوجب التهنئة فليوجه الى مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم ، هذا المجتمع الفريد من نوعه ، والذي كثرت عيوبه حتى انقلب الشارع فيه الى مسرح تمثل عليه مأساة متواصلة ، ابطالها المواطنون .

وانني في جميع ما اكتب اصور لا ارسم ، انقل بصدق ما أشاهده كل يوم ، وما اكثر ما اشاهد !

والى الذين استنكروا دعوتي للأدب الموجّه ولتجنب الأدب

المرفه ، أقول ان دعوتي هذه لا تعني انني انكر قيمة الأدب الوجداني أو الأدب الشخصي . ولست بغافل عن ان امماً كثيرة راقية احلت هذا النوع من الادب محلاً رفيعاً ، لما فيه من ابداع وجمال ، وغذاء للعقل .

لكنني اردت ان اقول ، اننا اليوم بعد اشتداد الغزوات على وطننا ، بأشد الحاجة الى ادب « موجَّه » نستوحي معه في كل ما نكتب اصلاح مجتمعنا لا ان نكتفي بوصف خصوصياتنا ومغامراتنا وغرامياتنا . وما قيمة ادب يدور فيه الحوار بين الشاعر ومعشوقته ، فيشبب بنفسه ويتيه دلالاً حتى يمتنع عن اعطاء من تعبده رقم تلفونه ؟؟

اليس هذا النوع من الادب « المتخنث » « افيوناً » يسمم عقول ناشئتنا ويزيد في عاهاتنا الاجتماعية ؟؟

لقد قلت في السابق ان الشباب ليسوا وحدهم المسؤولين عن سوء حالهم بقدر ما هو رجل الدولة مسؤول عنهم وعن الاخذ بيدهم !

ولعل مهمة الاديب لا تقل خطورة ، ودوره يزيد شأناً في اصلاح امر المواطنين ، اذ عليه تقع مسؤولية تغذية عقولهم ورفع مستواهم ، بما يعطيه من ادب نظيف وموجه !!

فالاديب الحقيقي اذن هو مدعو فيما ينتج الى تسلم زمام القيادة ، وهو وحده ، مهيأ لإنارة الدروب المظلمة أمام مواطنيه ، وعليه ان يدلهم بصراحة وجرأة على مزايا مجتمعهم وعيوبه ، فيمجد الاعمال النبيلة ، ويثير في نفوسهم عاطفة الخير ، ويبشر

بالرجولة ، والعزة والانفة ، لا بالميوعة والاستكانة والخنوع ، ولا يتورع عن تعرية بعض النفوس والكشف عن سيئاتها !!

نريد مفكرين يؤمنون بأهدافهم ومخططاتهم أولاً ، ويثقون بجدارتهم لقيادة الرأي العام قيادة صحيحة ، وينزلون قليلاً من قصورهم « العاجية » ويتحفوننا بأدب من صميم الحياة ، صادق ، بعيد عن زخرف الكلام ، ذي أسلوب سهل ، غير مبطن ، فيوجهوا العامة والخاصة التوجيه الخير الذي اليه يهدفون !

نريد أدباً صادقاً صريحاً ، يبتعد عن التغني بفضائل غير موجودة ليكسب عطف الشباب ومحبتهم ، ويحظى بتصفيق بعض هواة الإشعاع والأمجاد التليدة ، أدباً حراً ولو أدى بصاحبه الى اضطهاده ..

انني واثق بأن مجتمعنا في أغلبه مستعد لتقبل الدعوة المخلصة لاصلاحه .. وهناك مآسٍ كثيرة تحيق بنا وتنتظر منا ان نبادر لاقتحامها وتحليلها والسعي لايجاد الحلول لها .

فلا نكتفي ان نعي نفوسنا ونصف آلامنا وحدنا ، وندبج المقالات لنتحدث عن تحزبنا وللدعاية لعقائدنا . بل علينا ان ننغمس في الحياة الواقعية اليومية ، فننتعل احذية الفقراء المهترئة ونلبس ثيابهم المثقوبة ، ونكتوي بنارهم ، ونعبر عن رغباتهم وحاجاتهم وبالتالي ان نتقمص نفس الأديب وروحه ، نفس المواطن وروحه .

لقد تعرض الكثير من الأدباء والمفكرين للاهانة والأذى بسبب صراحتهم في وصف ما يحيط بهم من شرور وآثام ، وفي سبيل

المبـادىء التي عاندوا بالتبشير بهـا للتخفيف من ويلات مجتمعهم !! لكن أمتهم خلدتهم فيما بعد وقدرت جليل عملهم .

نريد قصة يثور فيها الكاتب إذ يصف طفلاً لا يتجاوز عمره العاشرة ، يدور في الليالي المظلمة شبه عـار ، يبيـع زهوراً لرواد علب الليـل ، ليشبـع نهم انسان وحش ، يقبـع في زاوية الشارع منتظراً « الغلة » التي يؤمنها له ذلك الطفل المسكين .

وأين هي الاقلام تنبري لتصف المآسي التي نمر بها في كل يوم ، فتصف طفلاً آخر لا يتجـاوز عمره السنتين ، تحمله امرأة (وقد يكون ابنها) حقنته بالمورفين لتزيد في شحوب وجهـــه ، ولتثير الشفقة في نفوس المارة ، لتزيد مالاً تعبئه في كيسها ؟؟

نريد أدباً يستثير فينا النخوة فلا ننسى ونحن نمر امـام مخيمات اللاجئين ، لنمدح احد الأثرياء المتخمين ، بؤس المشرد وتعاسته .

نريد ادباً « يبوظ » بعض عاداتنا وتقاليدنا الموروثـة فيدعو مثلاً الى توجيه موسيقانا توجيهاً جديداً ، فـــلا نكتفي بسماع « يا ذابحة قلبي بقزازة لماذا الهجر لماذا » . أو « دخلت عليـك في نصف الليل » الخ ... والبكاء في اناشيدنا .

نريد ادباً يفرض على الوطن والمواطنين دستوراً غير مكتوب ويشيـع في نفوسهم تقديس الضمير « الصامت » ذلك الضـابط الداخلي الذي يفرض على الفرد ان يردع نفسه عن القيام بأشيـاء في السر يخشى علانيتها .

فنعنى بملابسنا الداخلية الغير منظورة بمقدار مـا نعنى بالثوب الخـارجي .

ولا نرمي في الشارع الاقذار لأن الشـــارع ليس ملكنا وحدنا .

ولا نطلق النفس على سجيتها في السينما ونجعل من قاعتهـا صالة طعام ، أو مقهى ، لأن السينما ليست ملكنا وحدنا .

دستور غير مكتوب يلزم صاحب المطعم ان يكون نظيفـاً في مطبخه ، فلا يستغل تستره عن الانظار ، الى غير ذلـك من شؤون !!

نريد ادباً يضبط المجتمع بدقة ويبعث في نفس المواطن الميـل للخير والتقدم .

نريد ادباً نظيفاً يسيّر الشباب ولا يسيّره الشباب ، وبذلك يمكننا ان نخلق الجو الملائم ، ونمهد الى المرحلة العملية ، والوسيلة الناجعة التي نقضي بواسطتها على الغزوات المحدقة بنا ، ونرفع الجيل الجديد المنعنع والمدلل الى المرتبة اللازمة ونحقق الآمـال المعقودة علينا .

جندي لا "كوبوي"...

في حياة الشعوب والدول يوجد شيء واحد ليس له ثمن هو الشرف الوطني .

ونحن اليوم في لبنان احوج ما نكون الى مرحلة التفكير الوطني الصافي في حل الصعوبات الاجتماعية التي تهدد ابناءنا ، وبالتالي وطننا !!

معضلاتنا ليست سياسية بقدر ما هي نزوات فكرية وغذاءات عقلية ، تسمم ، وتشكل بالنسبة لمصالحنا وكياننا خطراً ماحقاً !

وقد آن لنا ان نهب على قدم واحدة ، رجالاً ونساء حكومة وشعباً ، لإعادة النظر في جميع ما ورثناه « واستوردناه » من افكار « وعادات » ومدنيات .

ان الطبيعة قد سخت كثيراً على بلادنا ، بما اعطتنا من جمال وصحة فلماذا لا نحاول ان نكون اسعد شعب في أجمل وطن ??

ان المواطن اللبناني شاباً كان ام « شابة » باستطاعته اذ وجّه التوجيه السليم ، وابعد عن غزوات التيارات الجامحة القذرة التي تلوث جو مجتمعه ، باستطاعته ان يسمو الى أرفع مستوى ويعود الى دوره الطبيعي الهام ، في بناء وطنه ويحتل مكانه في صفوف

الاخيار من العاملين في شتى حقوله !

ولعل خير وسيلة نقضي بها على انحراف الجيل الجديد «المهلهل» هي في تحقيق الخدمة العسكرية الاجبارية التي تجعل من اللبناني جندياً لا « كاوبوياً » ، مواطناً نافعاً يستطيع ان يفيد بلاده . لا « لزقة » يعيش على حساب بلاده .

لقد كانت تجربة التدريب العسكري على ضعفها في المدارس اللبنانية ، اختباراً ناجحاً لمسه المواطنون بعدما قررت السلطة تدريب طلبة المدارس تدريباً عسكرياً روحياً وجسدياً وعقلياً ، فكان له شأن كبير في تقوية الروح المعنوية في نفوسهم ،وتوجيههم توجيهاً اكيداً لمستقبل مجيد .

ولقد اثبت الشباب الذي كان يطلق عليه الكثيرون لقب « النايلون » لميوعته، ورخاوته ، انه حين يدرب تدريباً عسكرياً يصبح حاضراً لممارسة الحياة الخشنة الفاضلة !!

أو لم يصفق اللبنانيون كثيراً وتأخذهم النشوة يوم عرض الجيش في عيد الاستقلال عندما رأوا اولادهم يمشون المشية العسكرية القوية بنظام لم يألفوه من قبل ؟؟

كنت أود لو يتاح لجميع اللبنانيين ان يشهدوا أولادهم وهم يؤدون واجباتهم في المخيمات الصيفية ، وبهمة ونشاط لا فرق بين الواحد منهم والآخر يرضخون للاوامر متساوين جميعاً ، ينام الغني المنعم الى جانب الفقير المحروم ، على فراش واحد من «القش» ، ويلتحف ابناء الطوائف المختلفة « بطانية خضراء واحدة ».

لقد آمنت تلك القلة من الطلبة الذين تدربوا عسكرياً بقيمة

البطولة وسمو التضحية والحماس للهدف الوطني والثقة بالنفس.. وقد طبع التدريب العسكري في نفوسهم التعاليم التي تجعل منهم مقاتلين في سبيل علم بلادهم، وانقلبوا من شباب «مغناج» الى شجعان يتحملون المشاق، ثابتين مجربين مطيعين، يميلون الى خشونة العيش، واصبحوا مثالاً للنظام والشرف، مبرهنين على ان احسن ما ينتج لبنان، هو شعب لبنان.

انني ارجو ان يتاح للبنانيين ان تشملهم نعمة التدريب العسكري، وينعموا بخشونة العيش التي تظلل بعض ابنائهم، لعلهم يبتعدون عن المشعوذين من السياسيين ورجال بعض الاحزاب الطائفيين الذين بنوا مجدهم ورفعوا اعلام وطنيتهم الكاذبة على استثارة الشباب، وألفوا منهم فرقاً تتنازع من اجل هذا الفريق أو ذاك.

يجب ان ندرك نهائياً ان عظمة بلادنا وسؤددها مستحيلان ان لم يتمركزا على اتحاد ابنائها، وان لم ننبذ الصراع الحزبي والطائفي الذي يهدم الكفاءات ويغذي الحقد.. فالانقسام الطائفي «واليد الغريبة المخربة»، والساهرة ابداً لخلق الفتنة، والفروقات الاجتماعية الطبقية، وغزوات الثقافات المسمومة، والافلام المنحطة المستوردة، والأنانية التي ينعدم معها الحس الاخوي بين المواطنين، وانعدام المحبة البناءة التي تستخدم بكل القوى الخيرة لبناء الوطن، والخصومات في الشارع وفي القرية وفي «الحارات» وبعض المعارك العقائدية المصطنعة والمغذاة من الخارج!!

كل هذه المعضلات وغيرهـــا لا يمكن الخلاص منهـا « بالكليشيهات » المعروفة : « الهلال يعانق الصليب » ، « الخوري يتأبط ذراع الشيخ » ، « الجناحان يخفقان بوقت واحـد » ، أو باحياء الميثاق الوطني الاصطناعي . إلا باخراج قانون « التجنيـد الاجباري » ونفض الغبار عنه (فالرطل بـدو رطل ووقيـة) لتحقق للبنانيين مدرسة يتعلمون فيها حب النظام وفضيلة التـآزر والمساعدة بين الغني والفقير ويتحققون من ان السعادة مشتركة بينهم جميعاً ؛ يعمل الواحد منهم لإسعاد الآخر كما يجري في الفصيلة التي تضم الجنود وتتحول :

كراهيتهم الى محبة
وأنانيتهم الى تضحية
وحقدهم الى صداقة .

ويحترمون السلطة ليفرضوا احـترام السلطة لهم ، ويعلمون انهم باتحادهم يصبح كل منهم على يقين انه لاغنى عنه لوطنه .

وأياً مـا كان فلا خلاص للبنان من همومه ومشاكله ، ومـا يحيط بـه من غزوات واخطار إلا بتخلقه بالأخلاق العسكرية الفاضلة ، فتصبح له دستوراً ملهماً غير مكتوب . وعندهـا لن يصيب لبنان وهن ، ويصمد امام عاديات الزمان !

القهوة الباردة ...

وقف سليم في عشية احد الايام مأخوذاً بالأنوار الساطعة من محله الجديد ، يكاد لا يصدق ان هذا الذي تقرأه عيناه على « الآرمة » العريضة المعلقة فوق « العتبة » ، هو اسم « الشيخ سليم » .

وبأقل من لمح بصر ، عادت مخيلته الى ايام طفولته ، وقفز به خياله الى المآسي التي مرت به وبعائلته ، وقف كالعملاق يستعرض ماضيه ، وقد أسكره النصر ، ومنظر اسمه مشعشعاً بأنوار « النيون » الساطعة .

عجيب أمر الذكريات .

وقصة سليم .. هي قصة الطموح القروي الساذج ، قصة العصامية التي وصلت الى تحقيق اهدافها بصمت وثبات .. انها مثل رائع لقوة النفس المقهورة التي أبت ان ترضخ لتقاليد مجتمع ، فثارت بنبل ، وحققت ما هو جدير بمستواها ، ولم تختصر دروب النجاح فتعتمد الأساليب الملتوية ، بل طرقت جنة الحياة ودخلتها من أبوابها الطبيعية الواسعة .

كان ذلك في قرية صغيرة من قرى لبنان العالقة بين الارض والسماء المسترخية على صخر يحيط بها شجر الزيتون والشربين ، فيزيدها سحراً وجمالاً .

نشأ سليم وترعرع في بيت من بيوتها الفقيرة ، فأبوه « أجير » حكومي صغير يكاد معاشه لا يقيه ذل السؤال ، إلا انه كان كمعظم الفقراء ذا نفس كبيرة وخلق كريم ، يخضع لواقعه بصبر ووداعة ، ولا يلتفت الى الغد إلا بأمل باسم وقلب كبير .. وكان يحسن الكتابة والقراءة .. ومن يحسن الكتابة والقراءة يصبح « بوسطجي » ، يحرر الرسائل لأبناء القرية ، ويقرأ تلك التي تردهم من اقوبائهم في المهجر .

وكانت عائلة سليم تعود الى «اصل» متواضع في دنيا الانساب ، وفي القرى اللبنانية لا يزال بعض الذين «تجنزرت» عقولهم يصنفون الناس ، طبقات ، عليا ، ووسطى ، ودنيا (عامة) .. فالانسان بنظرهم له « رقم خاص » ، ورتبة دائمة ثابتة لا تؤثر فيها سنة التغير . و « الشيخ » و « البيك » يتقدمان القوم ويفسح لهما المجال لاحتلال مركزهما المرموق في التشريفات بصورة اوتوماتيكية .

وكان يحز في نفس سليم ، وهو الفتى الموهوب ، ان لا يقام لأبيه ولعائلته وزن بين العائلات التي تسمى بالعريقة .

كان يثور بصمت مستنكراً ان يرى اهله يغرقون في البؤس أذلاء .. وان يكون هو بالنسبة لجنس طبقة المشايخ « الآريين » مصنفاً بين الطبقة الدنيا .

وعبثاً كان يحاول ان يجد سبباً معقولاً لتلك التفرقة «الطبقية» في ضيعته .. متسائلاً : أو ليس يرجع سكانها الى اصل واحد والى شجرة عائلية واحدة ؟

وبعد ، فمن هو الذي صنف الناس طبقات ، وفي أي كتاب من كتب الدين أو العلم ، ذكرت اوصاف مميزة ، لطبقة معينة من الناس ؟

ألا يمكن ان تكون تلك التفرقة « الطبقية » من نوع السموم التي بخها الأجانب في مجتمعنا ليزيدوا في ضعفنا ؟

وهل ان لغة أبناء المشائخ وسحنهم تختلف عن لغة ابناء العامة وسحنهم .

وسليم ابن الشعب الذي ينتمي الى الطبقة الدنيا ، وابن الذي يحسن القراءة والكتابة ، هل قدر له ان يبقى « موشوماً » بالرقم «٣» في حياة مجتمعه ؟

وكم مرة انتفض سليم لرؤية ابيه يشرب القهوة باردة « مصقعة » في المجتمعات لا لسبب إلا لأن ترتيبه في دنيا المقامات كان يأتي دائماً في آخر السلسلة ، فلا يصل دوره لتناول فنجان القهوة إلا بعد ان تدور الصينية على جميع الحاضرين ، فيضطر الى احتسائها « باردة » وهو المتقدم بالسن ، والمتفوق بالذكاء والعلم .

يا لها من أنانية في التفكير كادت تقتل سليم .

وكان يؤلم سليم وهو التلميذ المجتهد والمتفوق ان تختلف معاملة المعلم له عن معاملة ابناء المشائخ الذين كانوا دوماً يتمتعون بعناية خاصة ، يُراعى خاطرهم ولا يعنفوا إذا ما اخطأوا ، بينما هو لا يقابل إلا بالتكشير « وزم » الشفاه .

ولشد ما كان يتحسر في ساحة المدرسة وفي وقت «العصرونية» عندما يرى بعض زملائه المحظوظين يفتحون « حمالاتهم » ويخرجون

منها اطيب الحلوى واشهى الطعام ، يحملها اليهم الخيالة ، في حين ان « جربنديته » تشكو الفراغ التام .

وفي المساء عندما ينصرف التلاميذ الى بيوتهم كان يرى ابناء الوجهاء يركبون حماراً او حصاناً ، ويتبعهم « الخولي » . اما هو فكان يضطر ان يقطع المسافة الطويلة الى بيته ممتطياً « ساقيه » . لا يملك قرشاً يشتري به « مغلفاً » من القضامي يسليه في وحشته .

ولا يصل الى منزله الحقير الا مبللاً بالعرق بينما يصل ابناء المشائخ الى منازلهم لا اثر للتعب عليهم ، كخيل الانكليز بعد المعركة .

ولا ينسى سليم عندما يمر في حارة المشائخ والأمراء ان يقدح بيوتها بنظرة ، ويهمس في سره : سأصل . سأصبح قريباً شيخاً . لكن بعرق جبيني .

وقد كان سليم في أول امره لا يحفل بما يلقى من معاملة شاذة في ضيعته ، لكن حادثة فريدة مؤلمة زادت نفسه حقداً ، عندما صرُفَ ابوه من الخدمة وعُيِّن مكانه رجل « امي » من الحارة المحظوظة تحقيقاً لرغبات متزعم طامع وتدعيماً لنفوذه .

لقد اكدت هذه الحادثة لسليم ان قيمة الانسان هي مقدار ما يمكن ان يستفاد من ماله او وجاهته ، « ولقد منح سليم العقل ولكنه حرم الغنى والوجاهة واللقب » .

فهل هذا عذر كاف ليغمط حقه في المجتمع ؟

منذ تلك اللحظة صمم بإرادة قوية وعزم شديد على الكفاح

من اجل حياة أفضل ، ليحتل مركزاً أسمى يصبح بعده «شيخاً» عن جدارة لا عن وراثة .

وفي تلك الليلة ، دخل سليم بيته المتواضع ، وقد هيأ أمراً وعزم عليه ،فأخذته طمأنينة لا يعرفها أو يحس بها الا ذوو النفوس الكبيرة ، واستفاق في صباح اليوم التالي ليركب « البوسطة » الى العاصمة الفسيحة حيث يلقي بنفسه في خضمها المجهول .

وبدأ سليم يعمل من أول السلم . فانضم الى احد المطاعم الناجحة حيث اصبح « كرسوناً » يؤمن حياته بعرق جبينه .

ومضت أيام وشهور كان خلالها حركة دائمة لا تهدأ ، يفكر بالمستقبل ، باللقب العريض الذي لا بد ان يمتلكه .

سليم هات قهوة . سليم هات بوظة .

طيب ! اليوم سليم ، ولكن غداً الشيخ سليم .

وكان نجم سليم قد بدأ يتألق ، واصبح قبلة أنظار الزبائن ، وعمت شهرته وغدا « قطب » المحل يتنقل بين طاولات رواد المطعم يوزع لطفه وابتساماته بعدل ، حتى صار الكثيرون وخصوصاً الكثيرات يقصدون المطعم من اجل سليم .

تحسنت حال سليم وازداد المال المدخر في كيسه . لكن «عطشه» الروحي لم يكن ليرويه المال .

فذكريات نشأته التعيسة لم تفارق مخيلته .

انه لن يقنع بالبقاء في وهاد الحياة ، سوف «يتعمشق» الى قمم الحياة ويحتل ارفعها .

وهكذا ترك عمله فجأة ، وأسس مطعماً اشتد الإقبال عليه

واصبح : رب عمل بعد ان كان مستخدماً .

وأول شيء قام به ان وضع آرمة كتب عليها بحروف «بارزة» اسم «الشيخ سليم» هذا اللقب الذي يشهد على عصاميته المستحقة .

وفي كل ليل يشعشع اسم «الشيخ سليم» في واجهة المطعم الجديد ، يرد التحدي لبعض القناديل التي ترسل نورها الباهت في حارة من حارات قرية سليم .

وفي كل مساء يدخل الشيخ سليم مطعمه الأنيق الكبير ويحتسي قهوته «حارة» فيحس معها ان بؤس أيام طويلة، وأثقال أجيال قد انزاحت عن صدره . وانه وهو يتأمل الإسم المعلق على باب محله قد استعاد حقوق أبيه ، وأجداده ، ونفسه ايضاً .

وطن ... ومقاتل جديد !

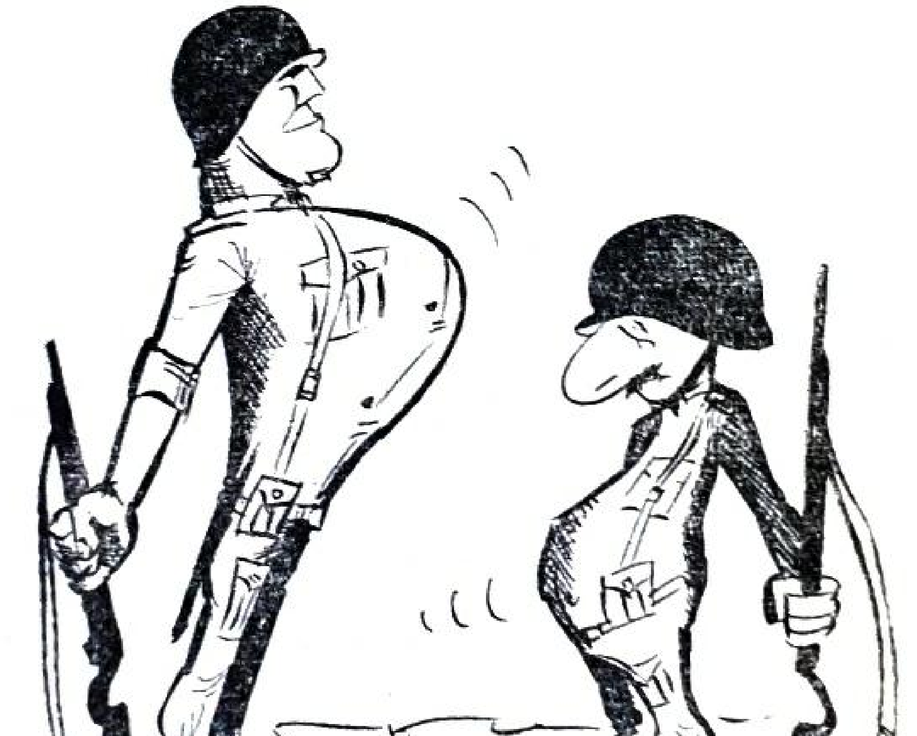

في صبيحة هـــذا اليوم ، في الذكرى الثالثــة عشرة لسقوط فلسطين بيد الغزاة الصهيونيين . سنخالف مألوف القول ، فلا نبكي على الأطلال ، بل نفيض بموجة من التفاؤل مبنية على منطق الأمور لا على العاطفة .

ولن ندع التفاؤل يحد من عنادنا في الكفاح بل سنصمم على اتباع مخططنا التقدمي الجديد في تجنب العوامل التي أدت الى ضياع قطعة عربية من صميم وطننا .

وان من أولى ثمار الهزيمة في فلسطين المباركة كانت هذا الوعي العام الذي نتج عن الصدمة النفسانية العميقة، فحفز الشعوب العربية وحكامهـا لدراسة مواطن ضعفهم ، وللبدء في محاولة ايجاد العلاج الحاسم لهـا . واصبح خطر اسرائيل حقيقة نهائيـة يحسها كل فرد عربي، ويؤمن ايماناً راسخاً بأن هدف الصهيونية في اغتصاب فلسطين ما هو الا مرحلة أولية في طريق محق وابادة العنصر العربي . ولقد كانت مذابح « دير ياسين » التي سببت تشريد مليون عربي يعيشون (ولا أقول يموتون) بين الخيم خير شاهد على نوايا الغزاة .

من هنا ومن هذا الواقع الجديد الصريح ، نشأت الحاجة الملحة الى بناء وطن جديد على أسس جديدة تنسجم مع المخطط التقدمي المتناسب مع الحاجة الملحة .

لذلك نقول ان الأسس القائمة اليوم بين مواطني معظم الدول العربية وبين الحاكم فيها، تختلف عن التي كانت قائمة في عام ١٩٤٨. فالقاعدة اصبحت « الثقة » المتبادلة وغدا الحاكم مرآة الشعب يعبر عن عواطفه بحق ويلهب شعوره ويترجم رغباته الى أعمال في الجهاد.

الحاكم اليوم لم يعد يعتقد انه نصف إله، فيستغل السلطة والحكم ويحتقر الشعب

الحاكم اليوم لم يعد يختفي وراء الشعارات التي تقول « العين لا تقاوم المخرز » أو « أطعم الفم تستحي العين ». فأصبح خلافاً لما كان عليه ١٩٤٨، قادراً على معالجة قضية فلسطين مع الدول الأجنبية المعنية، بإرادة صريحة، فيعلن ان الحل الوحيد لقضية فلسطين هو زوال اسرائيل ويؤكد ان مصالح تلك الدول وامتيازاتها ستكون عرضة للخطر إذا لم تخرج اسرائيل من الأرض العربية المغتصبة.

كما ان معظم البلاد العربية اليوم، اختفت منها الطبقة الاجتماعية التي كانت تجعل من المواطنين فئتين مختلفتين، واحدة حاكمة نافذة، قادرة حتى على شراء القوانين وتسخير القضاء والادارة لأهوائها. وثانية فقيرة عاجزة عن شراء ما يقيها من الجوع، أو يدفع عنها الظلم، حرة في أمر واحد وهو ان تموت جوعاً!

وهكذا نرى اليوم ان النظام الجديد قد حرر الفلاح من نير الاقطاعية، والعامل من الرأسمالية، وسادت معه الاشتراكية

الصحيحة. وانتشر التعليم وقضي أو كاد يقضى على التعصب الطائفي والاقليمي ، واصبحت المساواة حقيقـــة راهنة ، وغدا الشعب والحاكم جبهة واحدة في الجهـــاد المشترك ضد الصهيونية . والى جانب كل هذا ، عبأت الدول العربية قوى كانت في عام ١٩٤٨ مشلولة تقريباً ، فسمحت للمرأة ان تحتل مكانها الطبيعي قرب الرجل ، لتضيف بجهودها النافع ، قوة في المجالات العديدة اللازمة لتعبئتنـــا الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في صراعنا مع اسرائيل .

ومن عوامل تفاؤلنا ، مـــا نشاهده من اهتمام زائد في تقوية الجيوش العربية وتزويدها بالأسلحة الحديثة . وبوعي القادة للمثابرة على التفاهم المشترك الأصيل ، فهم يؤمنون بوحدة الهدف ، والخطر الداهم المشترك الذي يهدد كيانات البلاد العربية جميعاً ، وفي كل لحظة ، لذلك بادروا الى شد الروابط بينهم ، ليحققوا الطمأنينـة للشعوب التي تلتف حولهم وتساندهم .

ولقد آمن العسكريون ان خير « زوادة » لجيش نظـــامي تكون في تدريب القوى الشعبية تدريباً معنوياً ومادياً على القتال ، وتسليحها تسليحاً غير فاسد ، عالمين ان جيشاً يسنده شعب مقاتل هو جيش لا يهاب الموت .

لقد اركعت يوغسلافيا عام ١٩٤٥ اعظم جيوش العالم (الجيش النازي) بفضل تنظيم القوى الشعبية (الأنصار) بقيادة تيتو .

وان الشعب العربي بصورة عامـة ، وشعب فلسطين بصورة خاصة ، أثبت في تاريخه الطويل انـــه لا يقل بطولة عن شعب

يوغسلافيا ، بل قد يفوقه قوة وبطولة .

ان بطولات أمثال عبد القادر الحسيني ، وعز الدين القسام ، وحسن سلامة ، وامين التميمي ، وفرحان السعدي ، وعبدالرحيم حاج محمد ، وحمد صعب ، ومحمد زغيب ، وميشال متري ، رئيس جمعية العمال في يافا ، والأخوين حمد ابو سمره وداوود ابو سمره ، وغيرهم ، لمثل رائع في دنيا البطولات الخالدة .

في المعركة المقبلة لن تكون البلاد العربية بكراً ، ولن يبقى انتاجها البشري والمادي خاماً ، فتثبت صحة دعاية اليهود التي صورت العرب قوماً بدون حضارة عمرانية او زراعية فكانت السدود الشامخة والصناعات المتعددة رداً مفعماً على كذبهم .

اننا اليوم ، في الذكرى الثالثة عشرة لسقوط فلسطين لأشد ما نكون تفاؤلاً ونغتنمها فرصة لننشر تقويماً لحالتنا فنقول :

بناء البلاد العربية الجديد ، وتوحيد مجتمعها ، وتوحيد الجهود بقدر الإمكان بين مختلف بلدانها ، عسكرياً واقتصادياً وسياسياً ، وتعبئة الدول الأسيوية الافريقية والدول الاميركية اللاتينية وتسليح الجيوش العربية تسليحاً صحيحاً ، وتنظيم قوى الشعب وتوجيهها التوجيه الوطني السليم ، ومباركة البابا القديس لقضية العرب المقدسة ، وحالة اسرائيل اليوم التي تعيش على تبرعات العالم ، وبعد ازدياد الهجرة اليها وصعوبة الحياة فيها ، حتى غدت وكأنها ثكنة عسكرية تكاد تختنق من الحصار العربي الشامل الصارم .

كل هذه العوامل وغيرها تجعلنا في صبيحة هذا اليوم اكثر

تفاؤلاً بالقضاء على حلم اسرائيل والجهود العظيمة البالغة التي بذلت لتحقيقه خلال السنين وتجعلنا نردد مع شاعرنا « الأخطل الصغير »

شرف الموت ان نطعمـه
انفساً جبارة تأبى الهـوانا
انشروا الهول وصبوا ناركم
كيفما شئتم فلن تلقـوا جبانا
غذت الأحداث منا انفساً
لم يزدهـا العنف إلا عنفوانا
انما الحق الذي مـاتوا له
حقنا نمشي اليـه اين كانا

مصنع الرجال ...

هـا ان عجلة الشعب بدأت تدور في المصنع العربي الحديث ، بعد ان عطل عملها الحكام والاقطاعيون زمناً طويلاً !

وهل كان باستطاعة الشعب ، وقـد كاد « يفطسه » الحجاب الكثيف ، وغدا سجيناً ذليلاً ، يعتبره اسياده « عبـارة » لمنافعهم وخيراتهم ، هل كان باستطاعته ان يعبر عن حقيقة روحه !

لقد بدأ هدير العجلة يسمع جلجلة ويعطي طحنـاً ، وأخذت تتمزق الستائر عن خيرات بلادنا البشرية والمـادية ، وتكشف عن مواهب وعبقريات كانت حتى يومنا هذا خاماً ودفينة !

فالشعب ، وقد آمن نهائيـاً بصدق حكامه وبتجاوبهم معه وبمشاركتهم اياه في آماله وآلامه ، أخذ يعمل بجد وتفانٍ لكل قضية تنتابه أو يخطط لها حكامه .

لقد خلق جو الثقة المتبادل بين الشعب والحاكم نوعـاً من « الضمير الاجتماعي » العـام انقلب الى ضابط سري يحس معه المواطن وكأنه تحت رقابة دائمة ، تجعله يميز بين الخير والشر ، بين الولاء والخيانة ، دون حاجة الى تنبيه ، حتى اصبحت الأمـة في بعض بلداننا وكأنها في حالة تعبئة دائمة ضد كل ما يمكن ان يضر بمصالحها !

لقد اصبح للشعب قادة يخلقون في صفوفه جو الكفاح وحب

التفوق ، وغرسوا في نفسه ان الزمن الذي كانت تتساوى فيه الفضيلة مع الخيانة ولّى وراح ، واخذ المواطن يستميت في سبيل اظهار روح التفوق واعطاء اقصى ما يمكن من انتاج للوطن الذي غدا يبادله الثقة والاخلاص .

وهكذا أعطى الفلاح انتاجاً من ارضه أضعافاً مضاعفة عندما أصبح سيداً لها .

وأعطى العامل اقصى ما يمكن من انتاج عندما لازمه الشعور والرغبة في حب التفوق ، ووثق بدوره النافع واللازم في رفع مستوى وطن لا يجوع فيه .. وهل تطلب وطنية من شعب جائع ؟

ان مثل الشعب مع حكامه في بعض ارضنا العربية ، كمثل عائلة بث رب البيت بين ابنائها روح المفاضلة وحب التفوق ، حتى اصبح همُّ الواحد منهم ان يبز رفيقه لينال تقدير رب العائلة ، تماماً كما اخذت تظهر في صفوف الشعب العربي بطولات كانت ستبقى مجهولة ، لولا ان قدر لها « رب بيت » يوقظها من سباتها .

اصبحت روح العطاء القاعدة الطبيعية للشعب بعد ان اخرجه قادته من « الحفرة » التي هِمل الحكام في الماضي التراب عليها ، وبعد ان نفخوا في روحه الحرص على الكرامة وحب التفوق ، وبعد ان سلموه سلاحاً غير فاسد ليستمر في القتال حتى النصر الاخير .

لقد اصبح الشعب يقيم من نفسه سداً بشرياً عالياً للدفاع عن

سلامة بلاده ، فيركع جيوشاً اجنبية غازية ، بعد ان جعل من كل شبر من أرضه ، قبراً فاتحاً فاه ليبتلع كل مغامر اقتحم حصونه .

لقد اصبح المقاتل العربي الجديد، جندياً يتطلع الى هدفه بقوة وثقة وعناد وتصميم ، يقاتل في سبيل بلاده ، لا دفاعاً عن أسياده .

رأينا بالأمس القريب ، سماء عربية تمطر مئات من المظليين الابطال من افراد شعبنا ، يفتحون مظلاتهم قبل هبوطهم الى الارض بما لا يزيد عن الخمسمائة متر ، فيبرهنوا للعالم عن كفاءة وبطولة نادرتين ، ويثبتوا ان امتنا ما زالت ينبوعاً للتضحية والفداء ؟

وان الذين يفتشون عن البطولات بإمكانهم أن يجدوها في أمتنا بعد ان استعاد المواطنون مركزهم الحقيقي الاصيل في المجتمع .

وان « اديب حنا كيرللس » المواطن العربي الذي كان حتى الأمس القريب رجلاً عادياً ، وضابطاً صغيراً ، يسعى لايجاد دواء لابنه المريض ، ويرفض ان يخون بلاده ويعطي اسرائيل معلومات تضر بوطنه ، ويدوس على عشرات الملايين من الليرات .

هذا الرجل الذي تناسى هموم عائلته الفقيرة وسلامتها وفضل ان يحافظ على سلامة عائلته الكبيرة ، وطنه .

ان « اديب حنا كيرللس » اعطى مثلا رائعاً على قيام الجبهة الفدائية الجديدة ، وأثبت ان السد « البشري » الطالع المدافع عن وطننا قد اصبح حقيقة راهنة ، وان بلادنا اصبحت مصنعاً للرجال !

مؤتمر فيينا وظلام البئر

مؤتمر فيينا وظلام البشر !

مرة ثانية ترنو انظار العالم الى الرقعة الصغيرة من الارض التي سيجتمع فيها الجباران العظيمان !!

ولقد أحسن صنيعاً من انتقى فيينا مكاناً للاجتماع ، إذ فيها من الجمال والحسن ، والعظمة ودقة صنع الخالق، وتناسق وانسجام الطبيعة فيها ، ما يذكر المؤتمرين بوجوب اتباع سبيل الرحمة والابتعاد عن القسوة والإيلام فيما يعزمان على تقريره لمصير الانسانية !!

اننا لأشد ما نكون تفاؤلاً ، إذ لا يمكن للعقل ان يتصور ان رحمة الطبيعة ومباهجها المحيطة بالمؤتمر يمكن ان تؤدي الى القسوة والآلام !!

ان العالم في أزمته اليوم يحدوه الأمل بأن يسمع المؤتمران شكواه من سوء حاله ، ويحطمان من طريقه جميع العقبات التي تعيق الناس عن سيرهم !!

ان الشعوب المتخلفة الضعيفة ، التي يربو عددها عن الألف وخمساية مليون ، لترجو ان يسيطر الزعيمان في جو « فيينا » الهادىء ، على خلافاتها السياسية ويفكرا ملياً بروح صافية في حل المشكلات العالمية لايجاد الطريقة الفضلى لتجنيب مدنيتنا الفناء

بحرب عالمية ثالثة .

ان آمال الشعوب ان يكون هذا الاجتماع من أجل خلاص العالم لا من أجل افنائه .

وليس بالعسير على الجبارين اللذين يقتسمان العالم ، ان يتفاهما ، إذ أعلن كل منهما مخلصاً ان هدفه اسعاد الانسانية واحلال السلام الحقيقي فيها !

ان أمل الشعوب كبير في أن يحتوي جدول أعمال المؤتمر المقبل موضوع درس مخطط لإنماء الثروة العالمية ، والسعي لزيادة الانتاج الذي يحتاجه ويحن اليه تسعون بالمئة من سكان العالم !!

أو ليس من المعيب ان نهتم بمناقشة المواضيع العقائدية والسياسية ، واكثر من ثلثي العالم مهدد بالمرض والجوع؟؟

لقد وسم هذا العصر بعصر الذرة وتوقع الناس جنات النعيم ، مؤملين ان الانتاج سيتضاعف وتزداد التغذية بوفرة المزروعات ، حتى إذا عجز الفلاح والارض عن سد النقص في الانتاج ، كانت الوسيلة الوحيدة هي اللجوء الى الذرة لحل المشكلة .

لذلك فإن الشعوب لتأمل ان يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر الاشتراك والمؤازرة في مسألة انماء التغذية العالمية لانقاذ البشرية من الفناء . فلا يكتفي الصراع على السيطرة باستثمار الشعوب المتخلفة دون الاهتمام بسعادتها .

وهل يعقل ان نداوي علة تضخم العالم بشرياً وقلة انتاجه ، بعلة اكبر ، لنحقق نظرية داروين القائلة بفناء البعض لابقاء الاصلح ، وإعادة التوازن بين ازدياد عدد السكان وقلة الانتاج ؟

ان داروين نفسه اقر بأن نظريته ما هي إلا محاولة تفسيرية تجريبية ، وان الصراع لا يحل المشكلة بل ان التعاون يساعد على الابقاء على الجميع . وعلى أي حال ، ان ما كان يصح في عصر داروين لا يمكن ان يتناسب مع تقدم مدنيتنا اليوم . ففي عصر داروين كان الناس يستضيئون بالشموع ، ويشربون من البئر ، بينما نحن نعيش في يوم تنير دروبنا الكهرباء ويطفىء عطشنا البراد .

ان جدول أعمال مؤتمر فيينا يجب ان يكون شعاره الحياة ، فلا يسمح بحل مشاكلنا بالقنبلة الذرية ، بل يسعى لايجاد السعادة وازدهار الحياة ، إذ ليس من المعقول ان يفتش ما يزيد عن الالف وخمساية مليون انسان عن خبزهم ودوائهم ، في عصر يدّعي فيه الانسان انه ارتفع عن الحيوان وتغلب على قوى الطبيعة واصبح سيداً لها ، حتى كاد يصل الى القمر ، ويبقى عاجزاً عن ان يجد حلاً يضمن بقاءه !

« لقد اسرع العلم في السير حتى جاوز القلب بمراحل فواجبنا ان نمنح العلم اجازة حتى يدركه القلب ! »

واننا نريد ان ننطلق من مؤتمر فيينا الى أضواء المستقبل المشعة حتى لا نبقى في ظلام البئر .

زنار "الديناميت"...

لبنان هذا البلد الجميل الذي اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من اسباب الرقي ووسائل التقدم ، آن له ان يتفلت من جموده، ويمشي في الطريق الطبيعي الذي خصه به الوجود، ويلحق بالركب العالمي، غير ملتفت الى المخدرات التي يتلهى «بتغليفه» بها بعض الذين يدعون محبته ، ويقيمون انفسهم حماة له .

لقد انقلبت المقاييس في لبنان حتى كادت تضيع معالم الحقيقة واصبحنا نخلط بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح ، بين العدالة والظلم ، بين الصراحة والوقاحة بين الحرية والاباحية ، بين المحبة والتهتك ، بين النظام والفوضى .

وان هذه الظواهر لتتجلى في كل ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية حتى اضطر الكثيرون الى اخفاء عيوب مجتمعنا ، إما بنقدها واظهارها من غير محاولة اصلاحها ، واما بتحميل المسؤولية للحكومات ومطالبتها بإيجاد العلاج دون ان يكلفوا انفسهم السعي لإيجاد العلاج .

والغريب ان الاخيار من المواطنين الذين وهبهم الله نفوساً تفرق بين الخير والشر ، وعقولاً تفكر ، وثقافة توجه ، هؤلاء المواطنين شغلتهم أنانيتهم عن كل عيب ، وعن كل مواطن .

والناس في لبنان اصبحوا وكأنهم شدوا على وسطهم « زناراً »

من ديناميت لا يحتاج إلا الى احتكاك بسيط حتى ينفجر .

ولو ان هذه الطاقة الحرارية المصطنعة التي نفجرها لأتفه الاسباب ، لا نخمدهـا عند ضرورة الدفاع عن حريتنا الفردية والاجتماعية ، بل نقف مكتوفي الايدي عند مشاهدتنا الظلم يقع بيننا ، والقانون يخرق على مرأى من انظارنا

لو اننا بلعنا غضبنا وأخفينا « عنترياتنا » ومررنا مرور الكرام بهفوة أصابت منا تواضعنا ، وفككنا « زنارنا » الديناميتي ذوداً عن سمعة بلدنا وغيرة على ابناء وطننا ، لو ان الذي ذبح شقيقته بعد ان استنفد مالها ، هذا الوحش الذي قتل نفساً وعلى مرأى من مواطنين له ، بحجة الثأر لعرضه ، لو ان هـذا المخلوق يستميت في سبيل الدفاع عن كرامة وطنه بنفس الشدة التي استعملها في القضاء على شقيقته لكان الوطن سعد به ، ولابتعد عن الحيوان الذي اندفع بداعي غريزته الوحشية. احزابنا وساستنا اصبحت خصوماتهم عداوة لاذعة ! صداقاتنا اصبحت واهية تتداعى لأضعف الاسباب ، النـاس في النوادي ، في السينما ، في الرستورانات في سيارات السرفيس ، كلهم مدرعون « بزنار » الديناميت حزام النـار ، ومعرضون لخطر الانفجار السريع ، فلا يضبطون نفسهم ولا يحكمون عقلهم في غريزتهم ، ولا يضحون أنانيتهم في سبيل اسعاد غيرهم ، حتى اصبح على الدولة واجب التدخل لاعادة المقاييس الى قواعدها الصحيحة ، وللتفريق بين الخير والشر واصلاح اخطـاء الافراد ورفع مستوى تفكيرهم !

ان الشعب الذي يخضع لغريزته ، ولا ينقاد إلا الى أنانيتـه

ويتجاهل السعادة المشتركة بين المواطنين يصبح مهدداً بالانقراض .

وان « فيينا » البلد الجميل ، الذي أصبح محط انظار العالم ، وتمكن من اكتساب ثقة الشرق والغرب ، فكان المكان الأمين لاجتماع رجلين يتوقف على سلامتها ، سلام العالم ، ان هذا البلد لم يصل الى ما وصل اليه إلا بعد ان سادت فيه المقاييس السليمة ، واصبحت فكرة الوطن فيه تتجسم بمجموعة أفراد لا همّ لهم إلا السعادة المشتركة بينهم والتي يساهم بها كل فرد منهم .

فرجل الدولة هناك ينفعل مع شعبه ، يعيش في آماله ، فيبادله شعبه عملاً وانتاجاً ، يساهم في إعلاء قدر وطنه ويشعر بكل حواسه واجب مبادلته في تحقيق اسمى المبادىء الانسانية .

ان كل مواطن يجري فحصاً ضميرياً في كل يوم ، كل موظف مسؤول يشعر انه مواطن توجب عليه ان يشرف وظيفته !

البوليس يؤمن بأن مسؤولية السير تشرف حاملها ، فحاملها بوسعه أذن ان يشرفها !

يطبق القانون على الجميع ، لأنه مؤتمن على تطبيق القانون ، لقد خالف نائب بارز من الحزب الاشتراكي الحاكم في النمسا قانون السير ، إذ تخطى النور الأحمر فأوقفه شرطي السير وأراد تطبيق القانون ومجازاته ، فتمنع النائب واعلن صفته . لكن الشرطي أصر على تطبيق القانون ، فعلا صوت النائب ، فما كان من الجمهور المشاهد إلا ان هجم على النائب يريد ضربه . لكن الشرطي دافع عن النائب وانتهى الحادث .

وفي اليوم التالي كان النائب في قاعة محكمة « فيينا » يتلقى خلاصة حكم المحكمة عليه ، القاضي بحبسه حبساً شديداً وبالأشغال الشاقة لمدة ستة أشهر (مع التنفيذ) .

لقد تقبل الشعب هذا الحكم بمنتهى الرضى ، لأنه يغار على القانون كما يغار على بيته ، ويثور على منتهكي القانون حتى لا يعودون الى مخالفته .

ان المواطنين في « فيينا » يحمون العدالة ويثورون على منتهكي القانون ، يحتقرون القادة الذين لا يرسمون مثلًا عليا ليقتدي الشعب بها ، ويتشاتمون إذا اختلفوا ، ولا يتجاوبون مع آمالهم !

الحكم عندهم فن والحاكم فنان !

وكما ان اللوحة الفنية تحتاج الى فنان يخلقها ، فإن الحكم يحتاج الى حاكم فنان موهوب يضع أسس الحكم بنفسه حسب مواهبه ! هم الحكومة اسعاد الشعب حاضراً واعظام الوطن مستقبلًا.

لقد آن الأوان ان نعيد النظر بمقاييسنا الشاردة ونرجعها الى طريقها الطبيعي ، ونخلع « زنار » الديناميت او حزام النار ، اذا كنا لا نريد ان نكون جثثاً تتحرك ، تحيا اجسامنا وتموت نفوسنا !

المدينة الفاضلة

الطائرة .. أو المدينة الفاضلة الطائرة .. هـذا القفص الطائر العجيب . مـا أشبهه بصندوق الفرجة . فيها تتحول الحياة الى لوحات فنية صادقة ، تكشف عن مشاهـد مدهشة ، وتعبر عن جمـال الانسان وقبحه ، وتكاد تعريه بما تكشف من عجيب أطواره .

حدثني صاحبي وقد عاد مؤخراً من سفرة الى اوروبا ، قال :

صعدت سلم الطـائرة النفاثة بعد ان غادرت قاعة المطـار التي غصت بجمهور غير قليل من الناس ، جذبت بعضهم عاطفة الحشرية لرؤية المسافرين من قادمين وذاهبين ، والبعض الاخر مـلأ الشرفات يلوح بالمحارم البيضاء ، داعيـاً لأقربائه واصحابه بسفر سعيد .

وما هي إلا لحظات حتى « شرخني » شدق الطـائرة النهم ، الى بطنها ووجدتني مسمراً على مقعد اشد حزاماً قيل لي انه يقيني عاديات المفاجئات ويمنعني من ان « اكدش » ارض الطائرة عنـد هبوب العاصفة أو عند أي هبوط اضطراري .

وأخذ بالي يزداد قلقاً وحيرة كلما ازداد ازيز حركات الطائرة ايذاناً بالاقلاع ، فأجيل بصري الحـائر من النافـذة الصغيرة التي الصقت رأسي بهـا ، أودع بيروت ، ويكاد قلبي ينخلع من

« شروشه » من شدة الخوف بعد أن « كرجت » الطائرة وكأني احاول ان اتمسك بالأرض ومن فيها من احياء ، فارقتهم منذ لحظات وسُلخت عنهم سلخاً .

وسرعان ما اتجه خاطري الى المدينة ومجتمعها الملحد الذي نعيش فيه حياة حيوانية تسودها الغريزة على حساب العقل ، تحركنا عاصفة المصالح ، « نبرطع » حتى نعرق دماً لنستأثر بالريح ، « ونكوكش » المال من اين جاء ، وتسكرنا مظاهر السلطة وفتوحاتها ، لا همّ لنا إلا تنجير الخوازيق لإخواننا في كل صباح ، ولا نعيش إلا لأطماعنا وأهوائنا .

لقد حولتني الطائرة الى انسان يعيش لنفسه ولربه ولمجتمعه في آن واحدٍ ، ويحس احساساً عميقاً انه انقلب الى مخلوق تافه يملأ الخوف قلبه ، والإيمان نفسه ، لا نفوذ له ، لا سلطان ، بل يخضع لقدرة ونفوذ الجو الذي يلفه والذي يجمع بين الرهبة والجمال .

ولكم ادهشني وسرني يا صاحبي جو الانضباط الذي يسود الطائرة ، فيجعل من كل ركابها ، مهما علا شأنهم ، طيعين وادعين ، ينفذون أوامر المضيفة بسرعة ونظام يحسدون عليها ، يشدون ويفكون رباطهم ، يطفئون سجائرهم دون امتعاض !

وركاب الطائرة يا صاحبي يؤلفون مزيجاً متنوعاً من الناس تغلب عليهم جميعاً عاطفة اقتحام المجهول ، وحب اكتشاف آفاق جديدة تزيد في مباهج حياتهم .

فهذا تاجر امتطى الجو يبغي مضاعفة ما خزنه في كيسه يعلل النفس بكسب وكالة صنف جديدة من بضاعة تفتقر اليها بلاده .

وتلك فتاة وقد جاوزت سن الزواج ، أرادت ان تشتري المستقبل فكأنها حين قطعت تذكرة السفر قطعت ورقة « يا ناصيب » مؤملة ربح الجائزة الكبرى ، والعثور على عريس متساهل في البلد المقصود .

وهذا زوج اخترع سبباً للسفر ، فأعلن عن رغبته في الاستجمام ، وهو في الحقيقة هارب من اثقال حياته البيتية .

وذاك انسان أراد اختصار دروب الغنى فدس في حقيبته « بضائع » ممنوعة غلفها بتعويذة «إباسبور » تدفع عنها حشرية رجال الجمرك بعد ان قرر نهائياً ان مفهوم العصر للشرف هو ورقة المال ، واطمأن الى ان الناس لن ينقموا عليه اذا باع الماء « بنسليناً » أو خلط الطحين كلساً !

وتلك امرأة مريضة ، لم تشفها « الكنيسة القريبة » فطارت لاستشارة اخصائي يشفيها من أمراضها وأوهامها .

ولعل مضيفة الطائرة هي أتعس الركاب واشقاهم .

فهي وقد فرض عليها رؤساؤها ان تكون لطيفة مع الركاب ، تؤنسهم في وحشتهم ، تجد نفسها في بعض الأحيان مجبرة على تصنع الابتسام في المواقف التي تستوجب البكاء .

فهي الخادمة ، والساقية ،والبائعة، المبتسمة عند احداق الخطر بالطائرة لتشيع الطمأنينة ، وهي وقد وهبها الله قسطاً كبيراً من اللطف والجمال تصبح هدفاً لسهام عيون بعض المسافرين حتى يفوق بعضهم كلب «السلوقي » شراهة بما يقوم به من تودد بشع لها ، وما يتقيأ من ثرثرات معتقداً انه عندما أشترى تذكرة السفر ، قد

اشترى الطائرة ومن عليها !

وفجأة . يعلن قائد الطائرة عن قيام صعوبات جوية ويطلب الى الركاب شد الحزام واطفاء السجاير . فيقبع النافذ ، والتاجر ، والمغامر ، والفتاة والعجوز المتصابي في مقاعدهم ، مسمرين وعيونهم معلقة في العلاء يهتفون هتافاً واحداً باسم الله . ويسبحون في سماء واحدة ويخضعون لشريعة واحدة ، هي شريعة الله .

في بعض لحظات الحياة ، إذ يشعر المرء ان روحه لم تعد مشدودة الى شيء يغدو لا يكترث بشيء حتى لا يفرق بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح ، ويصبح اسمى ما في قلبه من عواطف شريفة متجهة الى الله .

وتحقق لي ان أقرب مسافة بين الانسان وربه هي الطائرة . فيها تروض سباع الحكام ، وتنوم أشرس ذئاب المال .

فيها ينتصر الانسان على حقده ، على حسده ، على شراهته ، على قسوته ، على أقوى عاطفة في الدنيا . على تبجح المرأة وغرورها. وكل مسافر عند اقلاع « مركبة النار » وعند هبوطها يقرأ في كتاب الله .

لم تعد الطائرة يا صاحبي واسطة نقل فحسب بل غدت « مدينة فاضلة » تشبه الى حد بعيد المدينة الفاضلة التي تحدث عنها الفارابي وأفلاطون.

في هذه المدينة الطائرة تترجم نظرية الحقيقة الى الفعل .

يتساءل فيها الانسان عن مكانته من نفسه ومن الله .

وكم نحن في لبنان بحاجة الى طائرة تستطيع ان تصلح نفوس هذا المليون من الركاب ؟

قاموس جديد

قلت لصاحبي الذي عاد من سفرته الطويلة :

هل لك ان تحدثني عن بعض البلدان التي حللت فيها ، وتقص عليّ أطرف ذكرياتك ؟

نفث صاحبي دخان سيكارته وقال :

سأحدثك عن « لبنان » البلد الذي طال فيه مقامي ، وسحرني جماله بقدر ما ازعجني انسانه . حتى ألفت في غربتي قاموساً .

قلت له : هات ما عندك .

قال : خذ قلماً وورقة وانسخ بعض ما عندي .

في هذا البلد الذي تحول الى « فرن » كل ما فيه يغلي ويتبخر ، ينظر السكان الى مجتمعهم نظرة مقلوبة ، يفنون ويذوبون في مصالحهم .

يلتهبون كالبراكين عند اقبالهم على امرين :

المال . واللذة .

وهاك نتفاً من قاموسي الفريد :

الاشعاع : تقليد في الأدب ، في الشعر في الموسيقى ، في الرقص .

وأشع فلان : بمعنى قلد .

واشعت فلانة : بمعنى فتحت صالوناً انقلبت فيه الى مخلوقة مغرورة تعد اسماء الكتب ولا تعرف عنها شيئاً .

وأشع البلد : بمعنى صار فيه كازينو .

الملكية : تاج على رأس حفنة مستوردة من نفايات اوروبا ، اطلق عليها لقب ملكات جمال .

البكاراه : لعبة لا يفوز فيها إلا نافذ كبير أو موظف خطير .

الموظف : انسان يشتغل لحسابه .

الشيفرة : حسناء ثرثارة تخون صاحبها .

الاصلاح : ضباب اصطناعي يحمي التراجع امام الفساد .

الرقي : طائفية ترتدي « سموكن » .

التقدم : وأد المرأة .

البر والاحسان : غلة الكانيوت تشحذ من طاولات القمار في بعض النوادي والبيوت .

الكرسي : « شرشف » فاقع الاحمرار تلوح به يد ، لتهييج الثيران في مواسم معينة فيتسلى الجمهور المشاهد .

المأدبة : مشروع لصفقة .

المصنع : فبركة للنفاق وتنجير الخوازيق .

البرلمان : سيرك « ميدرانو » .

المؤهل للحكم : كل من يخشى شره خارج الحكم .

المازوت : عطر قوي الرائحة ، جذاب ، يمسح به وجهه من جعل « اصنع ما تشاء » ، قاعدة له في الحياة .

حبة القمح : صخرة عظيمة يتكىء عليها القمر .

العلم : اشعاع يدعو الى اقفال جامعة لصالح مدرسة ثانوية .

اسماء الاعلام : ارقام في بعض الدوائر الاجنبية .

الاحزاب : دفتر شروط لمناقصات عالمية .

العقيدة : ادفع واحمل .

الممكن : كل شيء مستحيل .

الإباء : فن يقضي بالخضوع للاجنبي والتعالي على المواطن .

الوطنية : الحنين الى السلالات المنقرضة والباس الخيانة « ريدنكوت » واقعية التفكير وترفّع عن السلبية .

الشجاعة : وقاحة .

الجبن : تفكير مخلص هادىء .

الجمال : غرور وتبجح .

النزاهة : بلاهة .

الحشمة : سماجة .

العجز : عفو دائم .

الافلاس : عملية ترفيه مضمونة .

الحريق : طريق مختصر ومعبّد للثروة .

السياحة : اباحة .

التبذل : ظرف .

الدكتور : دكتور في غير الطب حتماً ، يمارس كل شيء ما عدا التطبيب .

الفراغ : هو هذا البلد الذي اغتربت فيه .

وامسكت بصاحبي ورجوته وقف هذا الفيض .. لانني قدرت ان قاموسه سيكون طويلاً جداً . وقد يتضمن ما في الدنيا من عيوب .

قطار... وراكب... ومحطة!

قلت لصاحبي : لقد سحرني قاموسك الذي ألفته عن « لبنان» حيث اغتربت.. فهلا حدثتني عن أعجب ما رأيت في البلد العجيب؟؟.

أجاب صاحبي : أعجب ما رأيت في البلد العجيب : « القطار السياحي ».

قلت : وما القطار السياحي ؟

قال : هي فكرة عنت على بال انسان زعم انه يريد ازدهار بلده ، وتنشيط اقتصاده ، وتفريج كربة أهله ، فلم يجد طريقاً لبلده إلا هذا القطار .

ولقد اهتمت الدولة بهذا القطار ورصدت له الأموال ويسرت له كل متعسر باعتبار ان القطار سيركبه أجانب يأتون الى «لبنان» بقصد السياحة فينفقون الأموال ويبذلون الثروات فيغني كل من في « لبنان » فكانت النتيجة ان القطار لم يركبه اجنبي واحد إنما ركبه أهل « لبنان » انفسهم ليذهبوا به الى مكانٍ ما انشىء بالأصل إلا ليسلب أهل « لبنان » أموالهم .

قطار « سرفيس » يبدأ في عاصمة البلد لينتهي في غرفة بطاولة خضراء : الداخل اليها مفقود والخارج منها مولود .

أما خير القطار فقد ذهب لشخصين لا ثالث لهما ، احدهما صاحب محطة الـ Terminus والثاني الراكب المحظوظ الذي

وضعوه هناك ليراقب الركاب ويتفحص تذاكرهم ، فغرف من طيبات القطار مالاً وجمالاً ما شاءت له شهيته الماضية .

أما أهل « لبنان » ممن فاتهم القطار فقد كان نصيبهم زعيق له وصفير ثم زجر عن الطرقات وتفريق لتمر في شوارعهم مواكب القبح وقد رفعت عليها يافطات كتب عليها « مواكب جمال » ، وتمر تلال من الزهر وما هي بزهر وإنما هي بند بسيط من فاتورة مشبوهة .

ولو كان الزهر من خالص الدر وغالي العقيق لما كلف أهل « لبنان » ما كلفهم زهر استؤجر ولم يُشْرَ .

وقضى القطار السياحي شهراً بطوله ، بليله ونهاره ، والمال يتدفق على صاحب محطة الـ Terminus وعلى الراكب المحظوظ حتى جنى هذا الراكب منه في شهر ما لم يجنه في عشرين عاماً من حياته قام فيها بألف سفرة .

ثم أكمل صديقي يقول : « وللبنان » كما قلت لك من قبل رئيس نبيل وراعٍ أمين لم يقبل بأن يسير في وطنه القطار السياحي إلا وهو يظن أن أهل « لبنان » جميعاً سيستفيدون من القطار . فلما رأى رعيته وليس لها من خير القطار إلا « سواد الدخان » على وجوههم ، وعرف ان صاحب المحطة والراكب المحظوظ « قد استمتعا وحدهم بنعم القطار ، حزن وتألم ثم حدثته نفسه : لا بد لي من ان انقذ « لبنان » فأقود بنفسي القطار .

وأنهى صديقي كلامه : وطفق أهل « لبنان » يعدون الأيام بانتظار القطار العتيد وسائقه المنقذ .

حائط المبكى ...

قلت لصاحبي : لقد أهاج حديثك عن « لبنـــان » الشوق في نفسي ، لطلب المزيد ، فهلا حدثتني عن انسان مجتمعه ، وذكرت شيئاً من همومه ؟

اندفع صاحبي قائلاً : لقد تحول « لبنان » الى حائط مبكى ؟ يذرف الناس دموعهم على اعتابه !

والجميع على مختلف بيئاتهم ، وطبائعهم ، في محافلهم ، يضجون من سوء الحال : الكل يبكي ! أو يتباكى !

الموظف يئن من الغلاء ، ويشكو ضآلة المعاش .

والعامل ناقم على رب العمل ، ويطلب إنصافه ، وزيادة راتبه ، وتخفيف اثقاله .

التاجر يطلب حماية لتجارته والصناعي لصناعته .

الآباء يشكون جشع المدارس وأصحاب المدارس يضجون من الغلاء .

..الهواة « المحـــدثون » يتغنون في المنتديات بوصف فساد الاخلاق ، ويحلقون عالياً بوصف العيوب ، ويبالغون بسوء المصير ، حتى يؤخذ السامعون بفصاحتهم ، وقديماً قلنا « ان أفصح القوم أكذبهم » !

النواب ناقمون على طغيان السلطة ، فينوحون على الديمقراطية ،

ويتباكون وينذرون بسوء العاقبة !

وأولو الأمر يضجون من تهافت اصحاب الشهية المفتوحة من ممثلي الأمة ، على خيرات الدولة ، التي غدت بنظرهم أسلاباً حق لهم نهبها !

الطوائف تتبادل نظرات البغض والحسد في مواسم قطف الثمار !

المواطن الصالح يبكي العدالة في بلده ، فلا يصل الى حقه إلا اذا لجأ الى الوساطة ، او اتقن فن مسح الجوخ ، ودفع ثمن القهوة !

الشرطي يعتدى عليه اذا حاول تطبيق القانون ، والمتنفذ لا تطاله يد العدالة !

المواطنون ضجوا من سوء توزيع خيرات الدولة وبطء سير معاملاتهم !

رجال السياسة أشاروا بوجوب اصلاح الآلة الحاكمة وإشاعة العدالة وتحسين موارد البلد لإزالة الفقر ، وبالتالي لمكافحة الإجرام وتوفير السعادة .

حتى رجال الفكر ، من ادباء وشعراء وفنانين جاؤوا الى حائط المبكى يدلون بنصائحهم وآرائهم .

قسم قال بإبقاء الديمقراطية .

آخر أفتى بالديكتاتورية !

تألفت اوركسترا غريبة ، ضمت مختلف الألوان والأصناف وعزفت لحناً باكياً مستمراً على اقدام حائط المبكى ، حتى خرج

انسان من وراء الحائط ، لا يمثل فئة من تلك الفئات الضاجة، ولم يعرف في حياته الطويلة ميلاً أو تحزباً ، وقال :

لقد أصغيت الى همومكم تبثونها ، وقدرت صدقها ، واعجبتني فصاحتكم في عرضها ، ولكني قررت ان زمنكم قد افسدته اهواؤكم ، وسياساتكم وأنانيتكم،واني لا أرجو خيراً ولا اصلاحاً عن يدكم ولزمنكم .

ان عقليتكم وحربائيتكم ، والجو الذي افسدتموه ، ليدفعني الى ألا أعول على أقوالكم ، ولا آمل ان أبني وطناً على اساسكم المتداعي !

ان في كل اقتراح سمعته منكم لمست وراءه أنانية وتعصباً وكراهية بعضكم لبعض !!

سأضرب بكم مثلا لأبنائكم ، فيستفيدون من نقائصكم ويصلحون أنفسهم وينجون من الشرور التي اوقعتم أنفسكم فيها .

.. وما زال ذلك الرجل ، المعتلي « حائط المبكى » يفيض بثورته على الباكين والمتباكين ، حتى انهار الحائط عليهم وارتاح « لبنان ».

وسكنت ثورة رجل « لبنان ».. وبدأ البناء من جديد !

قبض... آ... ي

مطلوب قبضاي
مطلوب قبضاي
مطلوب قبضاي
مطلوب قبضاي
مطلوب قبضاي

قـال لي صاحبي : فتشت القاموس أبحث عن المعنى اللغوي ، لكلمة « قبضاي » ، فلم أوفق ، ولم أعثر على مرادف لها .

فعدت الى قاموس واقـــع « لبنان » ، فوجدت ان الكلمة هـذه تشتق من « قبض على » « وقبض من » غير ان الـ « قبض على » لا يحدث في الغالب إلا على الضعفاء المساكين .

أمـا الـ « قبض من » فقد اصبحت شيمة « القبضاي » الذي تساوى في القبض عنـده القوي والضعيف ، والزعيم والمتزعم . انه يقبض من الزعيم الذي استزلم عنده .

ويقبض من اتباعه ، افراد زمرته ، الذين يدينون له بالطاعـة والولاء .

والقبضـــاي في « لبنان » يقابله « الجانجستر » في اميركا ، و « الفتوة » في مصر ، و « ابو جاسم » في العراق ، والأزعر في كل مكان .

ومهما اختلفت الاسماء ، فكلها تعني استخدام القوة لاغتصاب « الاغراض » التي هي عادة بعيدة عن النبل المعروف عن الابطال الحقيقيين .

والقبضاي « اللبناني » يختلف عن جميـع قبضايات العـالم ، كما يختلف لبنان عن بقية بلدان العالم .

فهو نسيج وحده ، له حياته الخاصة ، ومزاجه الخاص ، واساليبه الخاصة في تحصيل العيش والتحكم برقاب المساكين .

ولقد تطورت « القبضنة » في أيامنا هـذه حتى تشرشحت ، وهوت حتى بعدت كثيراً عن قبضنة « أبو زيد الهلالي » وعنترة ابن شداد وسيف بن ذي يزن !

بل اين « قبضاي » اليوم من « قبضايات » أيام زمان القريبة ، حيث كان القبضايات يحتلون ساحة القرية « يتكابشون » ويتباطحون ويتبارون في حمل القيمة والجرن وفي رفع المحل ؟

لقد كان هؤلاء واولئك قبضـايات عن جدارة واستحقاق ، وكانوا محصنين بالأخلاق الفـاضلة ، يدفعون ولا يقبضون . يعتمـدون على سواعدهم القوية وقبضاتهم الفولاذية ، وسيوفهم ورماحهم ، لا على الموسى والمسدس والرشاش .

وقبضاي اليوم ، منحته الطبيعة كتفين عريضتين ، يحمل عليهما الزعيم في المناسبات والحفلات .

صوته مجلجل قوي ، سريع الغضب يندفع الى القتال ، وهو الى حد بعيد يشبه الانسان الذي وصفه الجاحظ منذ الف سنة ، أسرعهم الى القتال ، اقلهم حياء عند الفرار .

شعره « مجزوز » وفمه مزين بسن ذهبي ، عيناه حمراوان ، وشارباه عنتريان ، كرشه متدل ، وحذاؤه من « الموكاسان » أو لستيك ، يسمع له عند المشي « زيزقة » .

سجله العدلي حافل بالجرائم . « الطازة » منهـا مفضلة عند الزعيم .

والقبضاي يتقن عادة فنون السباب وأصول البصق .

ولا يعمّد «قبضاياً» إلا بعد ان يشخط أول ضحية بالموسى ! ثم يتدرج في السلك الكريم حتى يرتفع ، فيحمل مسدساً ورشاشاً ، ليقوص في الهواء .

ومن ميزات القبضاي ان يتخذ له واحدة من بنات الهوى المسكينات يأتيها في آخر الليل ، متعتعاً « خمراناً » ليبتز منها غلة الشغل ، لينفقها في سباق الخيل أو في محطة الـ Terminus .

وقد يكون القبضاي سائق سيارة ، فيثبت قبضته بفتح الراديو على الـ ٩٩ ويطلق للزمور ولسيارته العنان .. ولا يهم اذا عرقل السير ، ويكيل الشتائم للشرطي وللحكومة عند اول سؤال ، أو احتجاج .

وترتفع اسهم القبضاي ويعم صيته ، فتتجه اليه الأنظار ، ويشط له ريق الزعيم ، وسرعان ما يجعل منه « بازاً » لاصطياد طيور الانسان ، فيوطد معه أركان زعامته .

عندها يتحول القبضاي الى الآمر الناهي ، يطلق يده في الحارة ، في القرية في المدينة ، يتصرف بأمور المساكين من العباد ، بعد ان عطل زعيمه القانون وجعله على الحياد .

ويشتد نفوذ القبضاي ، فيوسع شبكة أعماله مستفيداً من حياد القانون ، فيؤسس شركات البارولي ، ويحمي صالات القمار ويحتل أراضي الدولة حتى لو كانت في ساحات المدينة ، أو جانب المؤسسات الرسمية .

وما يزال يحلق في الارتفاع حتى يصبح مقصداً لأصحاب

المصالح ، ويتدنى نفوذ الزعيم بالنسبة اليه وقد يسبق النائب في السطوة إذ يتمكن من تعيين الدركي وعزل الشرطي ورفع الموظف وغير ذلك .

يفرض الخوة على صغار الباعة ، يشغل سيارات خاصة مزاحماً المساكين من سائقي السيارات العمومية ، الذين لا يكفيهم ما يجنونه من ربح لتسديد كمبيالاتهم آخر الشهر .

شاهدت مرة « قبضاياً » ينحني تحت طاولة الروليت ليلتقط « فيشة » (تساوي ٢٥ ليرة) . ولما اعترضه مدير اللعبة وطلب منه أرجاع الفيشة الى صاحبها ، التفت القبضاي اليه وقد قوس حاجبيه ووضع يده على خصره وصاح : انا ضامن الأرض !

ولا يكتفي القبضاي بامجاده هذه ، إذ هو يعمل على تهريب الحشيش ، ويبيع الهيروين « ويعطي البلعات » لخيول السباق .

وتحفظاً لعاديات الزمن يصادق بعض رجال الأمن ليرفع شرهم ، ويوطد علاقته بهم حتى يصبح بدوره حامياً لهم .

ان رأيته يدخل بعض الدوائر يحيط به أعوانه ، حسبته قيصر وهو يدخل رومة .

وقد يصدف ان يدخل القبضاي السجن بعد ان يأفل نجم زعيمه .

لكن سرعان ما يصبح داخل القضبان « قبضاياً » يتحكم بالقاووش ويصبح رئيساً له .

وترتفع الكلفة بينه وبين القيمين على السجن . فيؤدب لهم المآدب العامرة ويشاركهم في الأحاديث ، ويتلفن لاتباعه من

سجنه ، ويصدر تعليماته وكأنه ما زال بينهم .

حدثني محام ثقة ، انه استقبل في عشية أحد الأيام في بيته موكلاً كان قد حكم ، جاء برفقة حارس سجنه . ولما اعلن المحامي دهشته طيب الموكل خاطره وقال : والله لولا كرامتك لما رضيت ان ابقى يوماً واحداً في السجن .

القبضاي في الانتخابات . في الاستقبالات . في الأعياد . في جميع المناسبات هو سند للنافذ .

القبضاي اصبح من ضروريات « لبنان » .

جاء في التلمود عن حديث دار بين أشجار الغابة واشجار البستان :

قالت أشجار الغابة لأشجار البستان :

لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً ولا صدى ؟

فأجابت أشجار البستان : لأنني منشغلة عن الولولة بانماء اثماري .

ثم سألت أشجار البستان اشجار الغابة قائلة : ولماذا نسمع لاغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة ؟

فأجابت أشجار الغابة : لكي يشعر الناس بوجودي .

فمن الأنفس الهادئة ينبثق نور الحقيقة .

جعل الله نفوس قبضايات « لبنان » من هذه الأنفس .

هذا إنسان ...

عجيب والله أمر هذا البلد !

بينما هو يثور في الامس البعيد من أجل ان يذهب رئيس ،

إذا به في الأمس القريب يثور في سبيل ان يبقى رئيس ..

بينما هو في ظن الكثيرين منا ومن سوانا ، بل بينما هو في واقعه الذي لا يد له فيه ولا حول تتنازعه الأهواء وتتقاذفـه الآراء ، وتكاد تمضي به الهواجس السوداء في كل ظرف خانق من الظروف التي يتعرض لهـا في حياته ، إذا به في لحظة حاسمة من اللحظات المفاجئة التي لم تكن لتخطر على بال الواحد منا ، يندفع بعقله وقلبه وكيانه جميعـاً فكرة واحدة ورغبة واحدة وكلمة واحدة .

لقد كان العشرين من تموز ١٩٦٠ ، يوم استقالة القائد الرئيس شهاب ، يوماً من أيام لبنان لن ينساه لبنان .

فكأنما تلك النزعات والآراء ، وكأنما تلك الأهواء والأنواء وقد أدلهم الأفق وقست الرياح ، وعصف الجو ينذر بالشدائـد ، استحالت جميعها إرادة واحدة في بقاء الرجل الذي قـال كلمته الأولى ولم يكن بعد قد قال كلمته الثانية .

سر ، لا . ليس في الأمر سر من الأسرار .

انه سحر ساحر استطاع ان يصنع المعجزة في لبنان ، وان يكتب تاريخ شعب كاد يكفر بنفسه .

وأي معجزة تلك التي تخطت كل الاعتبارات ، ومشت على كل الافتراضات وحطمت في دربها كل ما كان يعترض دربها من أشواك وأسوار فإذا بها حقيقة تنبض بالحياة ؟

وأي تاريخ هو أروع من ذاك الذي كرست فيه المعجزة أنصع صفحة من صفحات الكتاب ؟

ذلك الرئيس شهاب ،الرجل الذي قال كلمته الأولى ولم يكن بعد قد قال الثانية ، صانع المعجزة وكاتب التاريخ ، هو واحد من غير طينة البشر العاديين . انه انسان !

وهل بين البشر إلا القـلة ممن أنزل الله في قلوبهم الروح الانسان ؟

وهل بين البشر إلا القلة القلة ممن أنزلت في عقولهم حكمة هي من عند الله ؟

العشرون من تموز يوم لن ينساه لبنان ولا التاريخ ينساه .

انه قصة رجل في تاريخ بلد ،ومصير وطن في ارادة رجل .

او ليس هذا أعجب ما في هذا البلد ؟

ذلك ان الرئيس القائد كان قد قال كلمته الأولى ، ولم يكن بعد قد قال كلمته الثانية .

قال الاولى بإرادة الانسان الذي ادرك ان التضحية فعل ايمان بقدسية الغاية ، وبنبل السبيل ، وهو قال الثانية ، قالها بروح هذا الايمان وسمو ذلك السبيل :

« استقلت لاني ضنين على سياج الشعب من ان ينساق بتيار ، أحرص على أن يبقى بعيداً عنه ،

ورجعت عن استقالتي لانني ادركت ان تضحية البقاء قد تكون الطريق الى رد ذاك التيار فيسلم السياج وتسلم البلاد . »

لقد كانت تضحية الرئيس شهاب تضحيتين :

واحدة في ارادة الذهاب .

والاخرى في قرار البقاء .

أما الرابح في التضحيتين فكان واحداً لا اثنين : هو لبنان .

أو ليس هذا أصدق ما كتب للتاريخ ؟

أو ليس هذا أروع ما في معجزة التاريخ ؟

هل عرفت الآن لماذا ثار لبنان في العشرين من تموز ؟

ثار من أجل أن يبقى الرئيس فكرة لبنان الجديد .

لبنان الذي يتطلع الى الامام ولا يلتفت الى الوراء إلا اذا كان الوراء زاداً للسير الى الأمام .

مقامات "لبنانية"

اشعل صاحبي سيكارته وشفط شفطة من فنجان القهوة واندفع بثورة من الغضب يقول :

ماذا دهاك حتى أخذت تسترسل في البوح كل مرة بما كان يجب ان يبقى سراً بيننا ؟

اتراك طالب شهرة على حسابي ، فدخت بأفيون الشهرة ، ونسيت ان الحقيقة لا يجدي نفعاً أعلانها ؟.

أم تراك نسيت ان خمول الذكر في الحياة هو أول شرط للسلامة ؟

وماذا نبتغي كلانا من أقوال ننشرها في مطلع كل شمس ، وما عسى يفيدنا نقدنا للمجتمع ، حين نضطر في نهاية كل شهر لأن نهرب من صاحب البيت وقد جاء يستوفي الإيجار ، ونخاصم الحانوتي وقد تضخمت فاتورته ، ونستعطف الصيدلي ليعدل من سعر أدويته ؟

دعني يا صاحبي قابعاً في عزلتي بعيداً عن الشهرة وخل هذا المجتمع يرتفع بالويلات التي هي من حصاد زرعه .

تركت صديقي على سجيته ، وقد عرفته حساساً الى درجة لا تحتمل . ظاهره لا ينبىء عن حقيقة باطنه ، لا يعرفه إلا خلص اصحابه .

يحتقر الوجاهة ، وينبذ المال ، يقدس العدالة التي يرى مجتمعه يدوسها في كل يوم . ويعترف ان من اكبر خطيئاته انتسابه لسلك الوظيفة وهو الذي لم يخلق ليصانع او يداهن.

فقلت له : لعلك تغفر لي يا صاحبي هذا البوح إذا علمت ان الناس في « لبنان » بدأوا يقبلون على الفكر النير الصادق ، ويبتعدون عن « ملوك » الكلام ، الذين يدعون ادباء وما هم بأدباء ، بل منافقون يعفرون وجوههم على أقدام أسيادهم الاثرياء .

عد يا صاحبي الى متابعة بوحك ، واتحفنا بسرد اختباراتك . ما أنت أول من يضحي براحته في سبيل رسالته وأطلعنا على افكارك لعلها تكون مفيدة للناس .

... لقد فعلت كلماتي فعل السحر في نفس صاحبي ، وكأني قد اصبت موطن الضعف في نفسه فهدأت ثورته ، وانبسطت أساريره واندفع يتدفق كالسيل قائلًا :

سأنزل عند رغبتك وافيض عليك بموجة من احساسات دونتها وانتزعتها من صميم حياة « لبنان » .

قلت : هات ما عندك .

قال : خذها كما تشاء ، سمها بما تشاء ، هي كوكتيل عجيب من مشاهدات ، شرط ان لا تدعوها مواعظ !

قلت : لك ما تريد .

قال : الويل لبلد صحافته أصدق انباء من سلطته .

– بلاغ التكذيب خير برهان على صدق النبأ .

– اللون الكاكي اصبح موضة المجتمع الدارجة.

– العبد له سيد واحد، طالب الحكم له تسعة وتسعون سيداً.

– كلما كبرت الفضيحة، كلما تأكد طمسها.

– نظام التسعيرة غير متبع إلا في الرجال، كل واحد له سعر معروف.

– سئل مواطن: لماذا لا تنتسب الى حزب؟ أجاب: انني أكره المشي في «الصف».

– الشعب الذي يفقد صوتاً يشكو به، وكلمات يعبر بها عن آلامه هو شعب ميت.

– عندما شاهدت لصاً وقد احنت الأوسمة صدره تذكرت ان صناعة الأوسمة تستوجب ماكينات وسخة.

– المواطنون يشتمون اليوم ما قد يجبرون على عبادته في الغد.

– بعض المرتشين يفوقون كلب الصيد «ريحاً» فلا يخطئون طريدتهم.

– أخذ متزعم، وقد جاء على رأس وفد كبير، يتباهى امام مسؤول خطير. قال له المسؤول: عادة حمار النوَر «المعقور» يقود خمسين جملاً.

– منتهى درجات الحرية مقدرة الانسان على تحديد حاجاته.

– من جعل القش ثوباً له، اصبح سريع العطب.

– الثورة الناجحة هي التي لا تبقي دمعة في عين امرأة.

– سئل عملاق عن فضائل قامته. أجاب: كنت اربح

المعركة قبل ان ابدأها .

– في حضرة « المشائخ » تتدنى قيمة الانسان ويرتفع سعر « الخرفان » .

– عاقبة الجريمة أقل خطراً من عاقبة الدين : الاولى تقود الى « مأوى » والثانية تقود الى خارج البيت .

– رسالة المفكر الصادق ، خير زاد للجندي .

– في احدى حفلات التكريم ، وقد اشتد نفاق الادباء في مدح صاحب التكريم ، التفت المحتفى به الى جاره سائلاً : عمن يتكلم هؤلاء الادباء ؟

– الفقير في هذا المجتمع يشبه قطعة خبز في بركة ماء : تتناهشها الاسماك بأسنانها .

– لا شك ان المستأجر المماطل اذكى من المؤجر : انه يملك ماله .

– أشد انواع الخبث هو المقدرة على التظاهر بالبعد عن الخبث .

– حرية المرأة في تحررها الاقتصادي .

– بعض رجال مجتمعنا يبالغون في احترام نسائهم لسبب وحيد : انهم يحتاجون لمالهن .

– أتعس ما تكون المرأة عندما لا تجد رجلاً يحبها .

– لا أدري من أجدر بالشفقة : أهو الشاب الذي يغازل عجوزاً طمعاً بمالها ، أم هي العجوز التي تشتري شاباً بمالها .

– عملية الزواج اليوم هي عبارة عن تسجيل أرض العروس

للعريس في الدوائر العقارية .

- كم هو نبيل هذا الرجل: انه لا ينسى ان يحيي عامل المصعد فيما هو صاعد لزيارة بعض الكبار .

- مثل (الاديب المرتزق) مثل (بلاطة) في دار خفي لونها من كثرة الغبار والاوساخ التي علقت بها .

- تمنيت ان يكون لي أذنا حمار لأسمع اكثر مما اتكلم .

- افجع منظر : زهرة جميلة تنخرها حشرة سوداء .

وقف صاحبي وقد شعر ان يدي قد خدرت وقال : الدنيـــا مقامات و « مقامات » « لبنان » ناطحات سحاب في دنيا المقامات .

فهرس

	صفحة
مقدمة	٥
الفقر الظافر	٩
كلهم عجاج	١٥
شوربا‌ء الديموقراطية	١٩
الخربر والخربريون	٢٧
طاووس	٣٣
الموظف المثالي	٣٩
لبنان بلد الستربتيز	٤٧
نوادي الاستقلال	٥٧
لصوص اكسترا	٦٩
« العلى فوقيون » أو سياسة قلب الثوب	٧٧
العصا السحرية	٨٥
حذار من الدوخة	٩١
الغزو المرعب	٩٩
حتى يتحسس الأدب واقعنا	١٠٩

جندي لا « كوبوي »	١١٥
القهوة الباردة	١٢١
وطن ومقاتل جديد	١٢٩
مصنع الرجال	١٣٥
مؤتمر فيينا وظلام البئر	١٤١
زنار الديناميت	١٤٥
المدينة الفاضلة	١٥١
قاموس جديد	١٥٧
قطار وراكب ومحطة	١٦٣
حائط المبكى	١٦٧
قبض ..آ .. ي	١٧١
هذا انسان	١٧٧
مقامات « لبنانية »	١٨١

٥٣١ – ٣ – ٦٣

المـؤلف

- شخصية لبنانية لامعة في الادارة والادب والصحافة .
- حائز على شهادة بكالوريوس علوم (B.A.) من الجامعة الاميركية - بيروت ١٩٥١ .
- حائز على شهادة استاذ في العلوم (M.A.) من الجامعة الاميركية بيروت ١٩٥٢ .
- يشغل منصب امين عام وزارة الدفاع الوطني منذ فجر الاستقلال سنة ١٩٤٤ وهو ايضاً محافظ شمالي لبنان .
- له عدة مؤلفات أدبية أبرزها : « ولادة استقلال » و « الجلاء » الكتابان اللذان خلد بهما اهم مناسبتين في تاريخ لبنان الحديث . وسيقدم الى المطبعة : « بصل الجنينة » (قصة طويلة) و « سقوط فلسطين » و « فتنة لا ثورة » عن حوادث عام ١٩٥٨ في لبنان .

الكتـاب

في هذا الكتاب لقطات بارعة تلقي الضوء بصراحة ساخرة على اكثر العيوب التي تغلغلت في المجتمع اللبناني . هذا المجتمع الذي نجده رغم تطوره الثقافي والحضاري لا يزال اسير المظاهر الفارغة ، و«الفخفخات » و « المقامات » !!

والمؤلف بحكم مجالاته الاجتماعية والشعبية الواسعة ، وتميزه بعين الناقد اللماحة ، وبأسلوب الاديب الفنان ، استطاع ان يقدم لنا في هذا الكتاب فصولاً ممتعة تهدم بلذعها وسخريتها اكثر العيوب الشائعة في مجتمعنا وتشق الطريق الى مجتمع سليم معافى ، خالٍ من العقد الداخلية والمستوردة .

الثمن ٣٠٠ ق . ل